الرسالة المخلصية

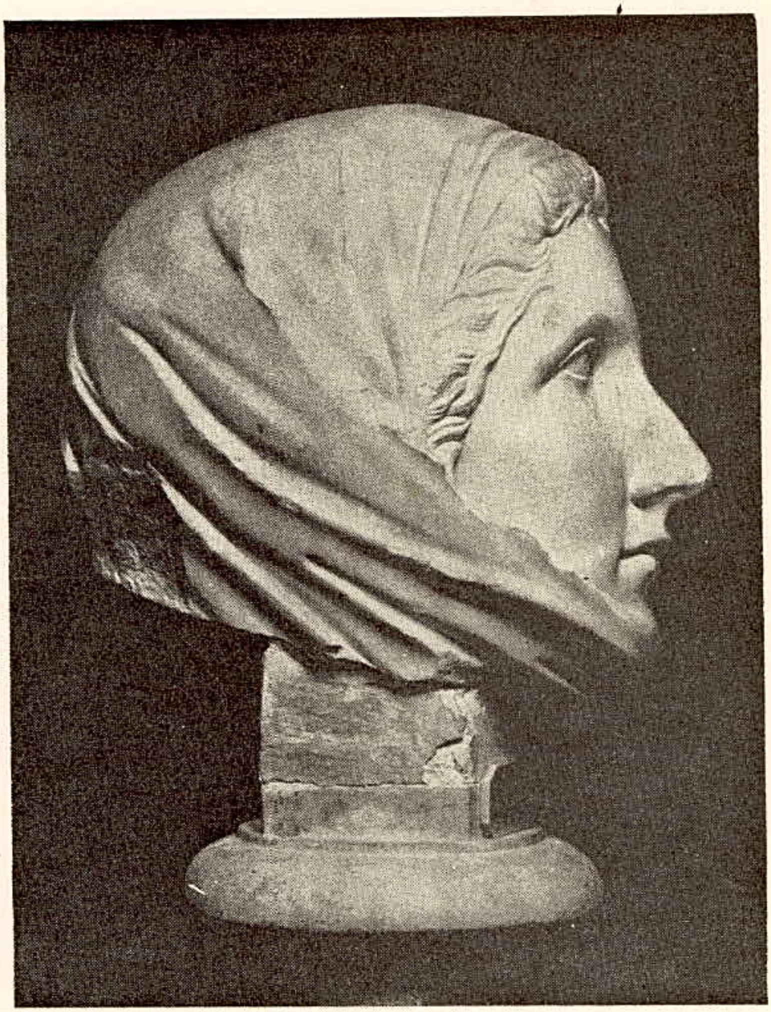

رسـالة المرأة

العدد ٥ السنة الثالثة والثلاثون ايار (مايو)

١٩٦٦

الرسالة المخلصية
السنة ٣٣
١٩٦٦
ايار (مايو)
العدد الخامس
تصدر عن دير المخلص
قرب صيدا — لبنان

حول لقاء بولس السادس وغروميكو

*

بقلم
الاب بشاره صارجي
ب. م

يبقى السؤال اللغز « عمّ دار الحديث بين بولس السادس ووزير خارجية الاتحاد السوفياتي غروميكو داخل الاسوار الفاتيكانية ؟ »

البيان الصحفي يقول ، ليس الاجتماع الا تتمة لحديث بدأ بين قداسته وغروميكو في مقر الامم المتحدة . حديث بدأ ، وحديث يتم ، انما السؤال ، ما هو موضوع الحديث ؟

يخرج غروميكو من اجتماعه التاريخي ، الاول من نوعه منذ قيام الثورة البولشفية ، ويدعو الى مؤتمر قمة اوربي لتحقيق السلام . هل حان الزمن لتبديل الانشودة الدولية التي انطلقت من موسكو محللة سفك الدماء في سبيل تحقيق الثورة ؟

من الاكيد الواضح ان الصراع العقائدي بين الكنيسة والاتحاد السوفياتي الشيوعي يبقى على اشده . فالكنيسة ما زالت منظمة دينية ، أسسها ابن الله منذ الفي سنة وهو

لا يزال في وسطها فلن تتزعزع ، انها أمل الاجيال كلها ، بينما يبقى الاتحاد السوفياتي دولة الثورة الدامية ، والداعية الدولية الى الثورة المسلحة ، والى الالحاد العقائدي والعملي . وتجاه العقيدة الشيوعية اخذت الكنيسة موقفاً صريحاً وعنيداً اظهرته في اكثر من ظرف . فالبابا بيوس الحادي عشر اعلن سنة ١٩٣٧ في منشوره عن الشيوعية : « ان الشيوعية هي فاسدة جوهراً ، ولا يجوز الاسهام معها على الاطلاق ، خصوصاً اذا ما اراد الانسان الحفاظ على المدنية المسيحية » .

ولكن رغم الصراع العقائدي ، من الاكيد ان الفاتيكان كان اول من نادى باقامة حوار مع السوفيات . فهو اذا ما ناهض عقيدة ، لا يملّ مد اليد الى من ينادي بها ، لان رسالة الكنيسة تبقى شاملة ، تمتد الى كل الناس حتى اولئك الذين ينادون بقيم غير قيمها ، لا بل بقيم ضد قيمها . ولقد اظهر الفاتيكان لفتة عطف خاصة نحو الاتحاد السوفياتي بعد ثورة ١٩١٧ ، حتى ان اللاجئين الروس البيض الذين هجروا وطنهم الام راحوا يتهمون الكنيسة الكاثوليكية بمحاولة الحل مكان الكنيسة الارثوذكسية ، وهي كنيسة روسيا الأم ، وقد لاقت من النظام الجديد ما لاقته من انواع التعذيب ، بعد ان عزل نظام لينين البطريرك تيخن .

ولم تخفف هذه التهم المغرضة عزم الكنيسة ، فهي لاقت في دول كثيرة اضطهاداً ومناهضة عقائدية ، ومع ذلك كانت في كل ظرف من الظروف تأتي بالحل الملائم للمعضلة السياسية . فهي لا تفرض على الدولة التي تقيم معها علاقات ، ان تدين بدينها ، بل كل ما تطلبه هو ان تحترم تلك الدولة عقيدة الكنيسة ، وحقها على نشر تعليمها . والبابا بيوس الثاني عشر ، سنة ١٩٥٦ ، في منشور اذاعي

ألقاه في الثاني من ايلول ، حدد أسس التعايش السلمي مع السوفيات لا مع العقيدة الشيوعية فقال : « ان الكنيسة الكاثوليكية لا تلزم احداً بالانتماء اليها . انما تطلب لنفسها حرية العيش في الدولة حسب دستورها الخاص وشريعتها ، معتنية بمؤمنيها وناشرة بحرية تعليم يسوع المسيح . هذا هو الشرط الاساسي الاكيد لكل تعايش مخلص » .

ومع ما ظهر من الالحاد في الموقف الشيوعي ، كانت الكنيسة الاولى بين المنظمات الدولية لاسعاف الجائعين في المحنة الاقتصادية التي مر بها الاتحاد السوفياتي سنة ١٩١٩ حتى سنة ١٩٢٣ . فان البعثة البابوية اسهمت طوال ثلاث سنوات في اعالة يومية لمئة وثمانية وخمسين الف جائع ، وبنوع خاص الاطفال منهم .

ولعل لشهر نيسان نجماً خاصا للحوار بين الفاتيكان والاتحاد السوفياتي . ففي العاشر من نيسان ١٩٢٢ افتتح في جنوفا مؤتمر دولي نظمه مجلس الحلفاء الاعلى لحل بعض القضايا الاقتصادية التي بقيت معلقة في اوربا الشرقية بعد الحرب . وكان هذا اول مؤتمر دولي قبلت فيه الدول نظام لينين ، رغم ان اغلبية الدول المشتركة فيه ما كانت بعد قد اعترفت بالنظام السوفياتي الجديد . وقد حاولت الدول اقناع الوفد السوفياتي بتبني الديون التي كان قد عقدها حكم القيصر ، فرفض . وكان على رأس الوفد الروسي وزير الخارجية يومذاك شيشري . وفي الثاني والعشرين من نيسان اقيم عشاء على ظهر الباخرة الحربية « دانتي أليغيري » في ميناء جنوفا . وترأس العشاء ملك ايطاليا . وشاءت الصدف الابجدية ان يجلس اسقف جنوفا المطران سينيوري مقابل وزير خارجية الاتحاد السوفياتي ، فتبادلا الانخاب والابتسامات والاحاديث .

حتى ان الصحافة اعارت هذا الحوار اهمية خاصة . وفي الواقع ، على اثر هذا الحوار ، ارسل البابا بيوس الحادي عشر مذكرة الى المؤتمر في الخامس من ايار يحدد فيها شروط الاعتراف بالاتحاد السوفياتي . واهم ما ألح في طلبه قداسة الحبر الروماني هو الاقرار بالحرية الدينية في الاتحاد السوفياتي . « في الظرف الذي تجري فيه المفاوضات لقبول الاتحاد السوفياتي في جماعة الدول الحضارية ، يريد الكرسي الرسولي الحفاظ على المصالح الدينية التي هي اساس كل حضارة حقيقية » .

في الحديث الذي دار بين بولس السادس وغروميكو مواضيع كثيرة ولا شك ، انما من الصعب جداً ان يكون قداسته قد نسي تذكير غروميكو بأسس التعايش السلمي التي جاهر بها بيوس الثاني عشر . والمجمع الفاتيكاني الثاني خص الحرية الدينية بمنشور كامل . ولعل اقوى ما حدا بآباء المجمع الى اقرار هذه الوثيقة هو الاضطهاد الذي يلقاه المسيحيون في النظام الشيوعي .

الآن ، وقد ولج غروميكو من الباب الواسع الى ملكوت الانجيل ، اتراه عرف كيف يغرف من ينبوع المحبة ؟

في قبول الحب لربما عظمة اكبر مما في اعطائه !

دور العلماني في الكنيسة

بقلم
الاب ميشال حكيم ب م

العلماني والتفكير العقائدي

اعلان كلمة الله ، هو اولاً وفي جوهره ، توضيح متدرج لرسالة الخلاص التي تحتوي عليها الكتب المقدسة ، هو نقل لفكرة الله وقصده في الانسانية الى الانسان . وهو قصص لاعمال الله في التاريخ ، مستمد من النصوص الموحاة ، وبخاصة قصص لظهوره في حكاية الانسان ، بتأنسه الالهي الذي هو العمل الاسمى في تاريخ الانسانية .

اما اعلان كلمة الله على صعيد ادنى او على الاقل على صعيد اكثر واقعية واقرب الى الحياة العملية ، فهو إعداد مختلف قواعد الحياة التي تنظم سلوك المسيحي في شتى مواقف حياته .

بعد هذا التوضيح الاولي ، نتساءل هل للعلماني دور مباشر في اذاعة قصد الله في الانسانية وفي اعداد القواعد التي تنظم السلوك الانساني العملي ؟ قد يبدو ، لاول نظرة ، ان المساهمة في شرح وتحديد الحقـــائق الموحاة وسرد تصميم الله ، مقتصرة على السلطة الدينية وعلى اللاهوت . الا ان وضع العلماني ، يثير

على صعيد القضايا الاخلاقية الراهنة ، تساؤلاً ، نريد ان نوضحه لنتبين نصيبه في شرح واعداد التعليم الذي يرسم على الاقل خطوط حياتنا العملية .

اكثر من الابحاث الاخلاقية الكلاسيكية ، وضّحت البراءات البابوية ان للمبادىء المسيحية المرتبطة بالوصايا العشر وبعظة المسيح على الجبل ، قيمة تتخطى التاريخ ، لانها كلمة الله التي هي فوق كل زمن . انما لن يكون لهذه الكلمة ، فاعلية مثمرة ، في واقع الانسانية الراهن المتبدل بتبدل المراحل التاريخية المتعاقبة ، الا بقدر ما تدرس هذه المراحل درساً مسبقاً مستفيضاً ويحلل الواقع الانساني تحليلاً وافياً .

ولنا في براءة لاون الثالث عشر « الشؤون الحديثة » ، مثل نموذجي . فما الشؤون الحديثة التي تتكلم عنها البراءة الا الامور المستجدة ، والمواقف الاجتماعية الناشئة التي ظهرت في العالم ، بعد الثورة الصناعية . واعتقد ان الكلام النظري يكون ناقصاً عن العدل والمحبة الفضيلتين الملازمتين لكل مفهوم مسيحي ، في فترة من التاريخ ، تبدلت فيها تبديلاً جذرياً الأطر التي كانت تمارس فيها هاتان الفضيلتان . فلذلك كان ينبغي ان يستوعب هذا التبدل الجذري نفسه وتُحلّل شؤونه الحديثة لتعبر عن مقتضى الفضيلتين الاجتماعيتين الكبيرتين ، صيغة راهنة ، يدركها مسيحي تلك الفترة من سير الزمن ، المنضوي في كل لحظات حياته اليومية في هياكل اقتصادية واجتماعية جديدة ، المتصدي « لايديولوجيات » كالاشتراكية هي ايضاً حديثة العهد بالتاريخ .

ولنعتمد تبياناً لفكرتنا ، تعبيراً اكثر تقنية ، ألفته الكنيسة . ولنقل اذا كان ، من جهة ، اعداد المبادىء الدائمة للحياة ، يعتمد واقعاً مسيحياً مثالياً هو القضية thèse ، فمن جهة اخرى ، يضطرب الناس في فترة تاريخية واضحة المعالم والاهداف هي

النقيض antithèse . فالقضية التي يذيعها المسيحي او المسيحيون المثاليون لن تؤثر في المجتمع ، الا بقدر ما هي يقظة للواقع الراهن واعية للنقيض .

والعلماني الذي هو بحكم دعوته الزمنية ، متداخل في هذه المواقف الراهنة ، يعيشها حتماً كل يوم ، يستطيع كل مرة ، تحاول الكنيسة تحديد تعليمها الاخلاقي ، لمياكل جديدة ، بزغت في المجتمع في حقبة محدودة ، ان يسدي لها خدمات لا تثمن اذ يعرّفها على هذه الشؤون الحديثة التي لا يستوعبها الاكليريكي الا بعد فترة طويلة من شعور العلماني بها في حياته بالالم والفرح . ليس من شك انه لا يطلب من رجل الدين ان يتراجع عن المبادىء في هذا الحوار القائم بينه وبين العلماني ، بل ان يستمد منه نوراً يضيء هذه المواقف الحقيقية المتبدلة مع الزمن ، اذ يخشى على هذه المبادىء ان تكون وعظاً تجريدياً ، ان هي اذيعت في صلابتها المتحررة من كل زمن ، ولم تراع الواقع الحياتي الراهن . لذا لا يعدل وظيفة العلماني شيء في مجال ارشاد الكنيسة الى تطبيق مبادئها تطبيقاً مثمراً فعالاً في الواقع الحياتي الراهن والاوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي يدرك مقوماتها ودوافعها البيّنة والخفيّة . وان رجل الدين لينقطع عن الحياة الراهنة ان هو أبى الاستماع الى شهادة العلماني فيتكلم لغة تختلف عن لغة العالم الذي يعيش فيه . ان افتقار تعليمه الاخلاقي الى منهجية تربوية قادرة ان تلتقي الاوضاع الحياتية التي يجهلها تجعله اشبه شيء بايديولوجية قديمة مثقلة بالغبار .

على سبيل المثل ، سنسوق بعض هذه الاوضاع الحياتية والمواقف التي تنير فيها شهادة العلماني تعليم الكنيسة الاخلاقي وتسهم في شرحه وتوضيحه .

هي ، على وجه الشمول ، مجموعة العلاقات الانسانية التي يحاك

منها نسيج الحياة وخاصة ، علاقات الحقل الاجتماعي التي تتبدل بتبدل نماذج الحضارة والاطر السسيولوجية الكبرى التي لا بد ان يعرفها كل من يبغي تنظيم المعطى السسيولوجي وفاقاً للدستور الاخلاقي المسيحي .

ويقدم لنا تاريخ الكنيسة الحديث برهاناً على ما ذهبنا اليه ، في البراءات البابوية التي اكثرها مخصص ، منذ لاون الثالث عشر ، لشرح واقعٍ راهن يعاد النظر فيه من وقت لآخر ليحتفظ التعليم الاخلاقي في عالمنا بمرونته على مجابهة المعطيات التاريخية المتبدلة والواقع السسيولوجي . وتدرس البراءات البابوية قضايا المدنية التي طرحها على بساط البحث نشوء الديمقراطية المعاصرة ، وفي وقت اقرب لنا ، هياكل الدولة الحديثة ، ذات النظام الكلي والتقنقراطي ، وقضايا العائلة وتربية الشباب والقضايا الاجتماعية الصرفة : كالفقر والبروليتاريا ، وملكية المشاريع ، وتطوير عالم العمل . هذه الامور التي تثيرها تبدلات الهياكل السسيولوجية منذ نشوء الصناعة واتساع مدى نشاطها .

لا شك ، ان الكنيسة لم تتجاهل ، عبر تاريخها ، وفي هذا الحقل من تعليمها شهادة العلمانيين . ونذكر ، على سبيل المثل ، ان الشؤون الحديثة اعدت في لقاء بين علمانيين فرنسيين والمان وايطاليين ، اوحى به لاون الثالث عشر ووضعت فيه خطوط هذه البراءة الكبرى التي خضت ضمير العالم ولا تزال . ونسمع صدى لاسابيع المسيحيين الاجتماعيين في فرنسا ينبعث من كل صفحة من صفحات براءة يوحنا الثالث والعشرين « ام ومعلمة » .

واننا لنتساءل ايضاً ان كان لا يصح ان تتصل تعاليم البراءات البابوية التي تعرض لشؤون الاخلاق الزوجية وتربية الشباب اتصالاً اوثق بحياة مسيحي القرن العشرين من اتصالها به حتى الآن . ولقد اكب العلمانيون خلال الثلاثين السنة الماضية على بحث خلقية

الحياة الزوجية وتعمقوا كثيراً في مفاهيمها الخصبة . ولا نكير ، انهم اعادوا للحب الانساني كثيراً من اعتباره وابانوا بوضوح معناه الكياني . وظهرت فلسفة الحب في تأملاتهم اقرب الى نصوص بولس التي تشبه الوحدة الزوجية باتحاد المسيح بالكنيسة ، من بعض النصوص الكلاسيكية التي تشدد ، حفاظاً على النسل واستمرار الجنس البشري ، على غاية الزواج البيولوجية . ولا شك ايضاً ، ان تربية الاولاد ، تثير حتى على الصعيد المادي قضايا متعددة تختلف في المدن الكبرى ، حيث الكثافة الانسانية كبيرة ، وتجمع العائلة في المدى الضيق ، يورط في مشا كل متعددة مرهقة للاعصاب ، عن قضايا المجتمع الريفي او الحرفي حيث المدى حول البيت ارحب تنشط فيه حركة الاولاد فيخف عبء العائلة النامية ويلطف من ارهاقها لاعصاب الاهل ... فكل حديث عن التضحية ونكران الذات الضروري يجهل تقنية اعداد المجموعات السكنية الكبرى - هذا اذا اتجهنا به الى الجميع على السواء - يغدو الكثير من الآباء والامهات ، حديثاً هزيلاً خافتاً فيه نبض الحياة ، متنكراً لزمنه ، لوعي بدائي للاوضاع الجديدة التي هي اوضاع العائلة الحاضرة .

من منا لا يأمل ان تكون الكنيسة اكثر اطلاعاً على الاوضاع الراهنة ، فعلينا اذاً أن نوفر لها مختلف المعلومات عن اوضاع الحياة التي نعيشها لتبقى دوماً روح العالم والخمير في العجين .

ونضرب مثلاً آخر للقضية التي أثرنا هو المدرسة المسيحية . لقد اخذ وجود المدرسة المسيحية يتقلص رويداً رويداً ، وشرعت الاوضاع الاجتماعية وتكوين الدولة المعاصرة واوضاعنا الخاصة في البلد تحتم علينا مدارس لا تخاصم الدين لكن لا تتعهد ادارتها الكنيسة ويؤمها اولادنا لاسباب كثيرة . الا نشعر تجاه هذا الواقع الناشىء بواجب السعي لتأمين تربية روحية منفتحة تنسجم

اكثر وروح العصر ويرضى بها الجميع ، تجعل مفهوم التربية المسيحية أمرن ، واوسع واغنى ، متخطياً مفهوماً ثابت الحدود عاشت فيه ، ردحاً طويلاً من الزمن ، مدرسة مسيحية الاطر والانظمة . اما هذا التفكير فلا يمكنه ان ينضج في ادمغة رجال الدين وحدهم لانهم لا يلمون الا المامة مقتضبة باوضاعها . اذاً لا غنى في هذا المجال عن شهادة العلمانيين ، سواءً أكانوا اساتذة يلقون الدروس ام ذوي الاولاد الذين عهدوا بابنائهم الى هذه المدارس ام طلاباً قدامى تتلمذوا فيها .

اذا تحتاج المسيحية التي تأبى ان تنطق باسم مثالية ، في الواقع لا وجود لها ، الى اطلاع واسع يمدها به علماني غرسته دعوته الزمنية في بيئة لا تتوغل الكنيسة في كل رحابها . فهناك انواع من الحضور المسيحي لا يؤمنها الا العلمانيون في العالم . وينتج مما تقدم ان الكنيسة لا تتوفق في تحديد موقف عقائدي تجاه العالم المعاصر الا اذا اطلعت مسبقاً على مختلف وجوه القضية التي تعرض لها . ووحده العلماني يغذيها بالمعلومات الواقعية الرصينة . ومن الارجح ان مهمة العلماني لا تقتصر على جمع المعلومات وتوضيح المواقف بل لربما هي ايضاً ان تدخل في حوار مع رجال الدين لاعداد التعابير العقائدية المؤدية لمعاني اوضاع الحياة المتشعبة .

فواجب العلماني ، اذاً ، ان يتقصى دوماً التعابير التي تؤدي معنى الحاجات والمطاليب الخلقية ، المنسجمة مع الاوضاع السسيولوجية لزمن حضري انسجاماً وافياً . والتشريع القديم لا يصلح الا لحضارة قديمة ولا يعمد اليه في احقاق العدالة الاجتماعية واحترام الشخص الانساني وابقائها فوق كل شبهة واعتراض . وعليه ايضاً ان يبث الحياة المسيحية في العالم الذي يعيش فيه . انما بث هذه الرسالة في عالم نضبت فيه الحياة المسيحية او تضاءلت لا يستدعي

فقط تدريبه على نهج عملي ، وتزويده باساليب حديثة عصرية بل يستوجب اعداده اعداداً عقائدياً يؤهله لان يحقق على صعيد مختلف الاوضاع الحياتية لقاء بين مبادىء الاخلاقية المسيحية التي لا تتبدل وهياكل العالم الحاضر .

لذلك فلا بد للعلماني من اطلاع واسع على تعليم الكنيسة التي تدعوه دعوته المسيحية الى امدادها باختبارات الواقع ونقل مطاليب العالم اليها وآماله وامانيه ، ليعرف هو كيف يعيش هذه التعاليم في حياته ويؤالف بينها وبين واقع الحياة الدائم التجدد والتطور . ولذا نرى لزاماً علينا ان نلم الماماً خاطفاً ببعض التعاليم التي تكوّن مناخاً روحياً وانسانياً يروض الروح على الخير والمحبة ويشحذ الارادة لخدمة الانسان على الارض .

عودة الى الينبوع

ان الطلاق بين حياة الايمان والحياة الراهنة يتخلف بالفكر المسيحي عن معالجة القضايا الاجتماعية ويخبىء عنه الحقائق الاجتماعية المتفجرة من العقائد الايمانية التي منها يتدفق ينبوع فياض لتعليم الكنيسة الاجتماعي .

ويشكو يوحنا الثالث والعشرون من هذا الطلاق بين الحياة والعقيدة ويقول في براءته « السلام بين الامم » : « ان الخطأ في كون عمل المسيحيين على الصعيد الزمني لا ينسجم وايمانهم . وبالتالي ، فلا بد من ان يعيدوا في داخلهم الوحدة في التفكير والاستعدادات . فيضحي نشاطهم كله مغموراً بنور الايمان ومحركاً بنوابضِ المحبة » .

وجاء ايضاً في « السلام بين الامم » : المجتمع يركز على « نظام روحي » وايضاً « اذ يعبر عن نواميس الحياة المشتركة بكلمات

حقوق وواجبات لينفتح الناس على القيم الروحية ويفقهوا معنى الحقيقة والعدل والمحبة والحرية ، ويعرفوا انهم إنما ينتمون الى مجتمع في مستوى هذه القيم ، بل ان هذا يحملهم على ان يعرفوا اكثر الاله الحقيقي المتعالي والشخصي . واذ ذاك فعلائقهم بالله تبدو لهم وكأنها مرتكز الحياة : الحياة التي يعيشها الانسان في صميم ذاته وتلك التي يعيشها جماعياً مع سواه .

فهذه العبارات تشق لنا طريقاً تبدأ من حياة اجتماعية ادركت على وجهها الصحيح وتنتهي الى وعي الله وعياً يساعد من جديد على فهم الحياة الاجتماعية . اوليس المسيحيون هم مدعوون بنوع خاص الى تعمق معنى سر الحياة الالهية التي تنعش الحياة الاجتماعية ؟

حياة الله وسر الثالوث

يجب ان ننطلق الى سر حياة الله نفسها ، الى العقيدة الجوهرية في المسيحية . جاء المسيح يعلن لنا حقيقة الآب وثالوثية الاقانيم في الاله الواحد ، والمحبة التي هي تحديد الله في المسيحية ، ومع الاسف لم يعلم المسيحيون سر الثالوث علماً وافياً ولم يعيشوا جوهره في ايمانهم الحي مع انه السر الاساسي في الحياة المسيحية .

الله محبة ، يقول القديس يوحنا . والله اولاً هو الآب . فمن هو الآب في وحي المسيح ؟ هو من له دون الخلائق كلها ملء الوجود الذاتي ومن اعطى ذاته كل ذاته بحرية كاملة . هو شخص يلد شخصاً آخر ولا معين له على ولادة الكائن ولا مصدر لاعطاء ذاته كاملاً . يلد الابن غير المخلوق المساوي له منذ البدء في الجوهر وقدرة الكيان ، وفي الحرية والطاقة على الحب والعطاء . وهذه المشاركة المتبادلة هي في ذاتها جوهرية وشخصية تكوّن الروح القدس الذي ينعش ويحيي والذي هو بدوره عطاء كله ومشاركة .

ان نقول في الله انه ثلاثة اقانيم ، نقول انه حب لا اقوى ولا اعمق ، لا يسبر غوره عقل ، ولا يكشف بعض مداه للناس الا نعمة يؤتيها الابن لمن يشاء ، ونعترف بثلاثة اشخاص في الله ، تامة بينهم المشاركة المتبادلة ، كاملة الى ابعد حدود الكمال الى حد أنهم يؤلفون الهاً واحداً .

كل وجود الله حب وعطاء ومشاركة . كأن الله لم يكن الهاً قبل ان يكون ثلاثة اشخاص شفافة الى الغاية ، متحدة بعضها ببعض الى اقصى ما يكون الاتحاد لانها تعرف ذاتها معرفة ، ما بعدها بعد ، وتحب بعضها بعضاً حباً قوياً جارفاً لا يدرك له غور . كان الله يفتقر الى ان يكون جماعة ليغدو الهاً وكان على الاقانيم الثلاثة ان يكونوا معاً ليصبحوا ذاتهم وان يكونوا جماعة ليصبحوا محبة وعطاءً .

ويبدو لنا ان الانسان لا يقترب من الله كما تدعوه الى ذلك في كل زمن طبيعته الحميمة ودعوته ، الا اذا اعترف بالسوى الذين هم اشخاص على صورة الله وكان لهم عطاء ومشاركة . كل شيء في الكون سوّي على صورة الله المثال الاول لكل جماعة . وتنزع الكائنات بديهياً الى ان تنهج نهج الذي ابدعها وجاد عليها بالوجود ، فهي كلها حب وعطاء من الارض التي تعطي الغذاء وتتفجر طاقات جبارة خيرة ، وتحمل على صدرها كل حي ، الى البذرة التي تنبت الزهرة ، من الزهرة التي تتضوع ايجابياً الى النسيم المنعش ، من الشمس التي تبعث الدفء وترفق بالحياة ، الى الانسان الذي خلق قلباً ليحب وعقلاً ليشع نوراً وارادة تسهم في اكتشاف الكون ومزاملة الله في الخلق اي في الحب والعطاء .

يجب ان ترسم لنا الحياة الاجتماعية ، في تعدد البشر على الارض ، صورة ولو بعيدة عن حياة الله في المشاركة والحب ، وان تكون

ابتداء لها على الارض . « كونوا كاملين كما ان اباكم السماوي هو كامل » تأكيد لقانون الاعتراف بالسوى ، اعترافاً ينطوي على المساواة والكرامة والمشاركة في عطاء الذات التي هي المحبة ، حياة الله وقاعدة لحياة كل بشر .

انما نخشى بُعْدَ المسافة بين سر حياة الثالوث الاقدس وبين حياة الناس الاجتماعية والسياسية . فمن الواضح ان الانجيل لم يحدد في حرفيته ، ولا كما شرحته الكنيسة ، الصيغ القانونية والانظمة التي تجعلنا شبيهين بالله في حياتنا الاجتماعية . ولا مجال – يقول الاب « ليباك » متكلماً عن وجوه العقيدة الاجتماعية في كتابه « الكثلكة » لان ننقل نقلاً صرفاً الى الصعيد الطبيعي ما يعلمنا الايمان عن الحياة الفائقة الطبيعة . وان حدث ان عملنا ذلك ، نحوّل واقعاً الهياً يجب ان يؤمن به ويعاش في القداسة الى ايديولوجية باطلة ، نعلمنه علمنة جريئة تفقد العقائد الالهية الكثير من سموها وطاقتها المدهشة على الايحاء وتبديل الحياة . انما يردف كلامه بقوله : لا يصح ان يحول شاغل التمييز بين النظام الطبيعي والنظام الفائق الطبيعة دون ان يثمر الايمان . اذ ليس الايمان مستودعاً لحقائق ميتة تدفن فيه باحترام وخشوع ولا تلعب دوراً اساسياً في تنظيم وقائع الحياة . وهذا ما اوضحه بيوس الثاني عشر في وصفه الحياة الاجتماعية : « انها مرآة ناقصة لا تعكس لله مثالها في سر الثالوث صورة امينة كاملة » .

لذلك الانسان الحر الذي يعي تصميم الله يستطيع وحده ، بين الخلائق كلها ، لانه مرآة ناقصة ، ان يتنكر للحب والعطاء والمشاركة فيحتكر لذاته خيرات الوجود التى منحها الله لجميع ابنائه على السواء ، مستأثراً بخيور الحياة دون اخيه الانسان يضن عليه احياناً بما يسد رمقه ، مؤثراً ذاته بقيم الوجود المثلى : يفتح عقله على المعرفة ، يغرف من منابع الجمال ما طاب له ،

يكشف انسانيته بالفنون على اختلافها ، راضي القلب بان يقبع اخوه في جهل مدقع ، محروماً من المستوى الانساني الذي دعاه الله اليه . ويل للابناء الذين يستأثرون دون اخوتهم بخيرات هذا الوجود . ان سير التاريخ والانفتاح الانساني المتزايد سينتزعانها من قبضة ايديهم وسيكون لهم قاضياً عسيراً .

انما كلما صفت نفس الانسان وصقلت ، توطدت علاقاته بالله وتوثق الحوار بينه وبين السماء والقيم وتواضحت في نفسه صورة الله وكان على مثال الثالوث محبة لاخوته على الارض وعطاء ومشاركة .

سر التجسد .

بين حياة الثالوث في الله وبين حياة المشاركة في مجتمعاتنا كل يوم ، بين المحبة التي هي الله وبين مختلف وجوهها وظاهراتها الاجتماعية والسياسية ، علاقة راهنة في الاله المتجسد ، في المسيح الاله والانسان. ان في اعماق هذا السر معاني لا تسبر للمساواة والكرامة والمشاركة . وبما ان هذا السر الجوهري اصبح تراث الانسانية : « الكلمة صار جسداً وسكن في ما بيننا وقد شاهدنا مجده مجداً من الآب لابنه الوحيد » لنتوقف قليلاً خاشعين أمام جواء الحب العظيمة التي بسطها للانسانية . وكما الآب احب الابن حباً غامراً كلياً ، احب الابن البشرية حباً مماثلاً انتهى به الى بذل نفسه من اجلها : « كما احبني الاب انا ايضاً احببتكم (يوحنا ٩٢١٥) ، « اثبتوا في محبتي » ويتابع المسيح ويعطينا وصيته الاولى : « احبوا بعضكم بعضاً كما احببتكم انا ، ليس حب اعظم من ان يبذل الانسان نفسه عن احبائه » .

ليست الجدة في وصية المسيح الجديدة تكمن في المحتوى ، لقد قيل قبله : احبب قريبك مثل نفسك ، بل في التشبيه ، في المساواة بين حبه لنا المنتهي في التضحية الكاملة بالنفس وبين حبنا بعضنا لبعض الذي يجب ان ينتهي الى التضحية الكبرى والتعاون

الكامل في الحياة . وهكذا تتأصل محبة البشر المتبادلة بين بعضهم بعضاً في حب الله نفسه بقوة النعمة وتصبح في المسيح بواسطة الحب المتبادل بين الاقانيم الثلاثة ، حباً الهياً للانسان . فالعلاقة اذا بين سر الثالوث الاقدس وبين حياتنا الاجتماعية راهنة متينة في جوّ المسيح السري .

ونؤمن ايضاً اننا جسد واحد مع المسيح يسوع ، مدعوون لأن نكون اعضاء في هذا الجسد ، متساوون في الدعوة ، لنا نفس الكرامة ونفس الحقوق الاساسية وعلينا نفس الواجبات تجاه هذا الجسم : « فانا جميعاً قد اعتمدنا بروح واحدٍ لجسد واحد ، يهوداً كنا ام يونانيين ، عبيداً ام احراراً ، وسقينا جميعاً من روح واحد ، فثمة ليس بعد يوناني ولا يهودي ، ولا ختان ولا قلف ، ولا اعجمي ولا اسكوتي ، لا عبد ولا حر ، بل المسيح الذي هو كل شيء وفي كل شيء » (كولسي ١٣ ، ١١) .

لقد استشهدت باقوال الرسول بولس ، الذي تعنيه اولاً الكنيسة وجسد الرب المتغلب على الموت ، لان في تعليمه بذار ثورة تعمل في كل الحضارات . فلا اظنه أشار عبثاً الى انقسام الشعوب (يوناني ويهودي) والى التفاوت الطبقي (عبد وحر) الصارخ في المجتمعات القديمة ، لان كل من يتأمل في سر المسيح وجسده السري لا يستطيع إلا ان يعكس في حياته الاجتماعية ما رأى من حب الله .

وعندما يقول بولس « انتم جسد المسيح واعضاء كل بمقدار » أية كانة صفاتكم الطبيعية ومواهبكم ووظائفكم الخاصة ، الا يعني في قوله انه يجب ان نترفع في نظرتنا للانسان عن كل اعتبار زمني باذلين له حبنا وقوانا كما المسيح لانه هو ايضاً عضو بمقدار في الجسد . لذلك يذكر البابوات بالحقائق الموحاة عندما يتكلمون عن حقوق الانسان وواجباته ، ونسوق على سبيل المثل كلمات

ليوحنا الثالث والعشرين أتت في براءته « السلام بين الامم » « اذا نظرنا الى الكرامة الانسانية على نور الحقائق التي اوحاها الله فلا بد من ان نزيد قدرنا لها » اكثر من كل نظرة طبيعية وفلسفية « لان الناس قد افتدوا بدم يسوع ، وصيرتهم النعمة ابناء الله واصدقاءه ونصبوا ورثة المجد الابدي » . وليس من الاعتداد في شيء ان نخلص الى ان البشر لا يحكمون الا وفاقاً لهذه الكرامة لا كقطيع ، مستمدين تعبيرنا من صورة قديمة لارسطو في كتابه « السياسة » .

ايستطيع المسيحيون ان يعيشوا دعوتهم وألاّ يعملوا للمساواة في الحظوظ بين البشر والا يسهموا في تنمية الخير الاجتماعي بكل ما اوتوا من قوة وطاقة في مجتمع المسيح الذي تزول فيه الخصومة بين اليوناني والوثني والذي يملك فيه كل عضو نصيبه كاملاً ... لقد تأمنت بالمسيح وبجسده السري الوساطة بين حياة الثالوث في الله وبين حياتنا الاجتماعية ، وبدأنا نتلمس حضور السر الالهي على الرغم من ان المسافات التي لم تلغ بين السماء والارض ، وغدت حياتنا الاجتماعية صورة مسبقة لوجودنا في الله .

افلا يخلق بالمسيحيين وهذه روحانيتهم ، ان يتخطوا الفوارق التي ركزتها الانظمة الطبيعية على اسس اقتصادية لا تعني شيئاً في الجماعة الروحية التي اليها ينتمون وفي اجوائها يعيشون .

بهذا يلهم الوحي المسيحي ، اننا على الرغم من اختلاف العرق والامة والدولة والبيئة والطبقة ، اولاد الاب الواحد ، افتدينا بنفس الدم ، لا تعصف فينا الخصومات التي تمزق الناس . جماعة الاخوّة هي بالضبط تحديد الجماعة التي تسير في خطى المسيح ، هكذا دعي المسيحيون الاوائل الذين تجسد في حياتهم الراهنة المشتركة توق انساني غامض الى حياة مشتركة حلم بها بعض الفلاسفة . ان خمير الانجيل يخمر العجين الانساني ، ولا لحظة همدت طاقته وشلت

فاعليته . وفي هذه الجماعة الروحية غاية السلطة ان تسهر على الخير العام وتسعى لتطويره وتنميته ، وان تعزز كرامة الاخوة الذين تجمعهم طاولة واحدة ويشملهم حب واحد يحتفظ بعطف خاص للمعوزين ذوي الحاجات المتعددة .

يراود المسيحي حنين دائم الى الجماعة الاولى التي « كان فيها لجمهور المؤمنين قلب واحد ونفس واحدة ، ولم يكن احد يقول عن شيء يملكه انه له ، بل كان كل شيء مشتركاً فيما بينهم » ويرى في نهجها شرعة المسيحية المثلى ، متلمساً فيها عهد التأسيس ترصف مداميكه قوة الروح القدس ، متملياً براءة شبابها في حبه الاول . تجربة اخفقت مع الزمن ، انما النار المقدسة لم تخمد جذوتها في القلوب ، والمؤمنون بالحب لن يرضوا بالقاء السلاح مستسلمين لليأس والقنوط .

وهم بزعم علماء الاقتصاد ، حلم خطر يردد السياسيون ، فوضى روحية ويهز برؤوسهم العاقلون ذوو البصائر المتروية ! لذهبت مذهبهم لو ان المسيح لم يكن بكراً بين اخوة .

لن نتراجع قيد انملة عن هذه الاخوّة الروحية وان ظُن فيها بعض الجنون . فاننا نفضله على جنون آخر يدفع الانسانية الى الكذب والحقد واليأس شعوباً وأمماً واجناساً وطبقات اجتماعية . واننا لنعتقد ان هذه الاخوّة نفسها تنشد ولا تهمل هذه الهياكل الاقتصادية وبادرات التعاون التي يقول بها الاقتصادي وعالم الاجتماع والسياسي ويريدها ان تتجسد واقعاً كما حب الله مثال الحب الاخوي تجسد ليحقق قصده في العالم .

في اعماقنا لا نؤمن ان الله تجسد من اجل هذه الانسانية وان الحياة الالهية يمكنها ان تعيش في انسان من لحم وعظم ، ملتزم في عائلة وفي امور الزمن ، مضطرب في فوضى الشقاء مناضل دون هوادة في سبيل خبزه ، لا يدفع الظلم عنه الا ظلم اكبر ،

وتشده الى عمله سلسلة قاسية ولا تؤمن له غده ، تمرغه وتمزقه آلية اقتصادية نكرة افرغ المال منها كل قيمة انسانية .

وحينئذ نبسط على هذا الجور غطاءً شفافاً من المحبة والرجاء السماوي ، كأن الروح روح الانسان وروح الله ، يؤتى لها ان تسدل بحياءٍ غطاءً لائقاً على هذا الشقاء قبل ان تزيله .

جبانة هدامة تهزل معنى ملكوت الله ، تحول دون اتساعه الى مدى المجتمع الانساني ، تسمر العالم في شقائه كأن دعوة الانسان الزمنية لا تلتقي دعوته الروحية . وفيما الانسانية تجسد فكرها في الواقع المادي الاكثف وتبدل عناصره ، انطلاقاً من القوى الخفية في الارض حتى انوار السماء ، الى آلات جميلة تقوي في هذا التطور الكوني العلاقات بين البشر وتكثر اسباب التعاون ، نفزع نحن الى مسيحية فاجأها هذا التطور الجبار طالبين لديها ملجأً نحتمي فيه من هذه التطورات الضخمة ، مسترسلين الى فيض عاطفي رخيص نبغي فيه العزاء جاهلين اننا نشوّه تصميم المسيح الذي لم يرتفع بالانسان ليخلصه الى الاجواء السماوية بل هو انحدر الى ارضنا واتخذ طبيعة الانسان .

هذا هو نهج الحياة الالهية التي اعطيت للانسان في المسيح المتجسد . وها المسيح يدعونا ، بعد ان خضع قبلنا لاوضاع الانسان البشرية ، لان نتجسد في قيم الزمن الجميلة وان نتعاون ما وسعنا ذلك وعالمنا المادي ، مثبتين واقعية هذه الاخوة الحقيقية التي تقاس نقاوتها بقدرتها على الاشعاع في الوجود الانساني الاكثر كثافة ، الاقل شفافية .

لا نريد في الحياة الروحية كما في الحياة الزمنية حباً يتهرب من مشاغل الزمن وكثافة الوجود ، حباً ينتسب خطأً الى الحياة الروحية ، مواتاً لا يأتي ثمراً للسماء لان جذوره لا تمتد في الارض . واذا كان الله يبغي ان يجعل الحب الاخوي نظاماً

اجتماعياً للانسانية المسترسلة للعنف والضعف والحقد ، عليه ان يخضعه لنظام الحب الذي لا يُمس وان يدخل في نطاقه عيشنا المادي اليومي الذي يتقاتل البشر في سبيله سواء في ذلك كبيرهم وصغيرهم ، غنيّهم وفقيرهم ، برجوازيهم وعاملهم الكادح .

حقيقة الانسان

منذ عشرين سنة تقريباً تدرس قضية التوازن بين دعوة المسيحي من جهة وبين مشاغله الزمنية . ووُجه لوم عنيف الى فئة من المسيحيين لازدرائها القيم الزمنية وتشديدها على المسيحية كدعوة الى الابدية متجاهلة الامور الزمنية وتطور الانسانية وضرورة المساهمة في ازدهارها وتقدمها الحضاري . وقورنت مسيحيتها هذه بمحبة متجسدة واذيعت شعارات متعددة داعية المسيحيين الى مزيد من الانضواء في شؤون الزمن .

لكن صعوبات جديدة اخذت تطالعنا من هذا الانضواء في الزمن الذي يتطلب ان تقتصر دعوة المسيحي على بناء مدينة زمنية وان تحوّل الى مطلق قيم العالم . واوشكت ان تكون هذه المسيحية المتجسدة مجرى انسانياً يلونه خضاب روحي باهت .

اترانا مرغمين ان نختار بين تعالي الله وبين التجسد ؟ بين الله وبين الانسان ؟ املتزمون نحن ان ندعو مع البعض الى امانة مزدوجة تتجاذب حياتنا في المسيح ، تشدنا الى الله طوراً والى الانسان طوراً آخر ، الى التأمل واستجلاء وجه الله اللذين يغريان بالانقطاع عن مشاغل العالم وقضاياه للتفرغ الى امور الله او الى الواجب الاجتماعي الذي يهيب بنا الى تجريد جهودنا لخدمة الزمن . ان كان هذا هو الواقع فالمسيحية هي حياة مليئة بالمتناقضات تغمرها التعاسة وتخلق في الانسان ضميراً سيئاً .

نسترسل في عبادة الله فننحي باللائمة على نفوسنا لانقطاعنا عن السوى ، نعنى بالسوى فنؤنبها لاننا لم نعبد الله .

تجدر الملاحظة اولاً ان فكرة هذين القطبين المتناقضين المتزاحمين على جذب الانسان ، قطب الهي وقطب زمني ، تتعارض وفكرة الله في الانسان . الانسان وحدة جميلة تقول لنا الكتب المقدسة . وان كان فيه بعض التناقض فلا يرد الى واقعه بل الى تشويهنا له وطمس حقيقته . لسنا موزعين بين الله والانسان ، بل بين تمجيد الله من جهة وتصنيم الانسان من جهة ثانية . فمن الواضح ان يجتمع في الانسان مطلقان وان تحصل بينهما مشادة عنيفة تضطرنا الى المفاضلة بينهما واختيار واحدهما دون الآخر . فالامر في المسيحية التي يختلف مفهومها للانسان اختلافاً بيناً عن هذا المفهوم اسهل مما نتصور ، فالعلاقات طيبة بين الله والانسان تنم عن تآخٍ وتناغم وحسن جوار .

نثبت صحة ما نقول بالرجوع الى الفصول الاولى من سفر التكوين التي تطالعنا بنظرة جلية عن حقيقة الانسان نتمثل فيها ابعاده الثلاثة . واول بُعدٍ منها هو سيطرته على العالم . عندما خلق الله آدم قاد اليه الحيوانات ليسميها باسمائها ويعطي الدليل انه سيد على عالم الحيوان . ويقول لنا الكتاب ايضاً ان الانسان وضع في جنة عدن ليحرثها ويستنبتها خيراً تسانده في عمله كل الكائنات الحية . يشدد الكتاب المقدس ، قبل كل شيء على مهمة الانسان الزمنية . ويبدو لنا ، خلافاً لافكار خاطئة شائعة بين الكثيرين يجب ان تزول من رؤوسهم ، ان لا شيء يتناسب ودعوته كاحصائه خيرات الارض واكتشافه طاقاتها واستثمارها زيادة للخير وتكثيفاً له على الارض .

ويتضح من هذه النظرة ان لا اقرب الى روح الكتاب المقدس ولا اكثر شرعية في نظر الايمان من التقدم المدهش الذي يحققه

انسان اليوم في تقصيه عجائب العالم . ويصعب علينا ان نتصور مسيحياً يقلق لتقدم العلم ويحرده ويمر بباله ان فيه خطراً غامضاً على خلاصة الابدي . هذه الذهنية تنم عن مسيحية لا تزال بعد في طور طفولتها تخشى ان يكون الايمان تحت رحمة كشوف علمية جديدة . ان الانسان الذي يجهد في تفجير ثروات هذا الكون تمجيداً لله في خلائقه ينتظم في خط دعوته المسيحية انتظاماً كاملاً .

« ان العلم لا يحول دون الصلاة » يقول « شوشار » احد ابرع كبار اطباء الاعصاب في عصرنا . ويتابع ايضاً قوله « ليس الايمان حلاًّ يبسط الامور ويغنينا عن تقصي الحقيقة » ومن اشاد بالعلم ومجّده كدعوة الى الصلاة اكثر من بيوس الثاني عشر ! ففي سنة ١٩٤٨ قال للعلماء : « الا تشعرون في نفوسكم ان الفضاء الذي يغمرنا والكرة التي نطأ باقدامنا تذيع بفضل راصداتكم ومجاهركم وميازينكم واجهزتكم المتعددة مجدَ الله ، وتعكس امام اعينكم شعاعاً من هذه الحكمة غير المخلوقة التي تقول المزامير انها تنشر قوتها في الكون من طرف الى طرف » .

ويقول ايضاً في مناسبة اخرى « ان العالم يتوغل في محاولته التعرف الى ثروات الطبيعة الجامدة والحية التي تنفد ، توغلاً اعمق في اكتشاف الكنوز التي وضعها الخالق في خليقته . انه اشبه بمكتشف للاراضي الجديدة لاجل مجد الله » .

ويعتقد المسيحي ان الانسان لا يتطاول على حقوق الله في محاولته السيطرة على الفضاء ، بل يزداد وعياً انه على صورته ومثاله . لقد اكتشف الانسان تدريجياً النار والحرف والبخار والكهرباء والذرة وفضاء ما بين النجوم وسينزل قريباً على سطح القمر ... ورأى الله ان ذلك حسن . فكما الاب يعتز بنجاح ابنه في المدرسة كذلك الله بتقدم الانسان ! ان نجاح الانسان فخر لله ومجد . ولا يعقل ان يكون الله خصم العلم اذ هو

خالقه ويعرف كل شيء . ولن يعطي العلم اي برهان يقاوم الله ، اذ الله وهب الانسان كل وسائل المعرفة . فالانسان لأنه حر يتقدم ولأنه حـــرٌ يخطأ امام الله ، والخطيئة بترت الانسان واذلت العمل .

يذكر « غرغرين » المسيحي – وان هو تجاهل ذلك – « ان السماوات تذيع مجد الله » ولقد عبر « غرغرين » نفسه عن هذه الانشودة في صرخة الحماسة التي تصاعدت من فمه « ما هذا الجمال ? »

« فلماذا ايها الناس القليلو الايمان ، يقول الاب تيار تخشون تقدم العلم وتحردونه ? لماذا تكثرون عن لاوعي النبوءات واوامر النهي : لا تذهبوا ... لا تجربوا ... كل شيء معروف ... الارض فارغة وقديمة لن تجدوا فيها جديداً » . يختبر المسيحي الحقيقي كل شيء ويرجوه محبة بالمسيح لان التأليه زخم في الكون لا هدم لقواه .

التشبه بالله هو الهدف الوحيد الذي يخلق بالانسان ان يطمح اليه . انما المسيحي المدرك مدى قوة الحدث التقني ، والمؤمن بالخطيئة المعشعشة في قلب الانسان يذكر دوماً ادعاءات بناة برج بابل الذين أشرأبت اعناقهم تطاولاً على الله « تعالوا نبنِ لنا مدينة وبرجاً رأسه الى السماء ونقم لنا اسماً كي لا نتبدد على وجه الارض كلها » (سفر التكوين ١١ – ٤) .

وليس المسيحيون وحدهم هم الذين يخشون اخطار التقدم التقني الذي لا يراقبه ضمير . « انا انسان خائف واريد ان اشاطركم خوفي » كتب احد علماء الذرة غداة تفجير القنبلة الذرية « ألف » وكلنا يعرف ما جاء في انذار « انشتين » الشهير في نيسان سنة ١٩٥٤ : « ان عالمنا تهدده ازمة يبدو ان اتساعها قد افلت من يد ذوي القدرة على اخذ القرارات الكبرى سواء اكان فيها خير للبشرية ام شر . لقد بدلت طاقة الذرة المنطلقة عن عقالها كل

شيء الا طرق تفكيرنا . وها نحن ننزلق في كارثة لا عهد لنا بمثلها . لتأخذ بنهج جوهري جديد في التفكير ان شئنا ان تستمر البشرية في الوجود » .

هكذا اضحى الانسان خطراً على الانسان . لقد نصبنا العلم الهاً قبل ان نصبح اناساً ، كتب جان روستان . فينبغي علينا الا نتبسط في تحرير الفكر قبل ان نكبت الغرائز ... لم يقل سوى هذا القول النبي حزقيال : « انت بشر لا اله ولكن جعلت قلبك كقلب اله (حزقيال ٢٨ – ٢) » . لقد قضى الانسان قروناً لينتقل من عصر الحجر الى عصر الذرة ، تكفيه بضع ساعات ليعود من عهد الذرة الى عهد الحجر . فلا يخلق اذا بنا ان نتهرب من مهامنا الانسانية التي تمت بعلاقة الى العالم والحرب حالمين بالمغامرات الكونية .

هذا هو الحكم الذي يطلقه المسيحي على عظمة التقنيات وحدودها : « لقد ظفرت الانسانية ، يقول هنري بيار سيمون ، بفوز لم تحلم به في سيطرتها على الفضاء . ولكنها ستزول ان رأت فيه خلاصها وسعادتها وشفاء اوجاعها وحلاً لمتناقضاتها . ففي الساعة التي يتحكم فيها الانسان بنجم اصطناعي في السماء السوداء تتكدس على الارض اكداس من الآلام والافراح والفضائل والجرائم التي لا يربطها بأثرته رباط . ومهما ذهب بعيداً فلن ينال اللامتناهي حتى ولو ارتاد كل النجوم . ليس هكذا يكتشف وجه الله » .

يحذرنا الكتاب المقدس اذ يقول في ارميا : ملعون الرجل الذي يضع رجاءه في البشر . ويقول بسكال : « لا توازي خفقة حب اجسام الكون كلها » .

ايها الاصدقاء كل شيء لكم ، يقول بولس ، آمنوا بالعالم ، بهذه الارض التي غرسنا فيها . افرحوا بكشوفات اخوتنا البشر ومآثرهم سواء كانوا روساً ام امريكيين ، بيضا ام صفراً ، مؤمنين ام

غير مؤمنين . اما انتم ايهـــا المسيحيون فحظكم الذي لا يعدله شيء وواجبكم المقدس ان تعرفوا باسم الجميع : انكم للمسيح وان المسيح للآب .

وان وجد بينكم من يجد نزاعاً عنيداً بين العلم والايمان فهو لا شك متخلف وان عن نية سليمة ، ذو نزعة علمية قديمة تخطاها العلم كما يصرح علماء من مختلف النزعات مثل « جان روستان » « ولويس لوبرنس رنقه » .

بدأنا نعي وسواء في هذا الوعي المؤمنون وغير المؤمنين ، يقول الدكتور شوشار ، اننـــا قادرون ان نكون معاً علماء بارعين ومسيحيين صادقين .

ويجدر بنا ان نذكر بهذه المقاطع التي نشرها المطران « رودان » في جريدة اللاكروا التي تكمل نشيد القديس فرنسوا الاسيزي الذي لن ينتهي :

« مبارك انت ايها السيد لهذا الزمن الجديد الذي تكشف لنا منه عجائب جديدة من خليقتك لم نعلم بها الى الآن .

ها هي اسرار الذرة وطبقات الجو آخذة الواحد تلو الاخر تنضم الى كنوز الحياة والزهور والحملان لتنشر مجدك في كل مكان .

مبارك انت لهذه القبة الزرقاء التي لن تغلق منذ الآن . لقد اصبحت الباب المشرع على بساتينك التي لم يطف لها خيال في البال .

من اجل هذه العوالم المتعددة التي بلغني ألقها حاملاً اليّ نداءك المباشر اباركك كما باركك من اجل نجمتهم الملوك المجوس » .

للأنسان بعد ثانٍ في الكتاب المقدس هو علاقته بالسوى . يقول الكتاب ليس حسناً ان يبقى الانسان وحده فتخلق له حواء . وتجدر الملاحظة ان سفر التكوين في نصه الثاني الذي يسرد حكاية خلق المرأة لا يلمح الى دوام النسل وتكاثره بل

يركز على ضرورة ان لا يبقى الانسان وحده فيدل على انه في جوهر طبيعته عطاء ومشاركة لم يخلق للعزلة بل ليتوزع مع الغير كل وجوده. ولذا يبدو الحب الانساني احد اسمى التعابير عن شخصية الانسان كما ان مختلف العلاقات الانسانية هي ايضاً تعابير عن طبيعته الانسانية الاجتماعية في صميمها.

يبقى في الانسان بعد ثالث هو العبادة. خلق الانسان على صورة الله ليسيطر على الكون ويوطد علاقاته بالانسان اخيه وليعترف اخيراً بسمو ما يتخطاه.

العبادة هي من مقومات كيان الانسان الذي تتحدر اليه ذاته من الله. وذلك لم يتمّ بدفعه سبابة بدائية بل في صلة حاضرة. في هذه اللحظة التي اكتب فيها، موجود انا بقدر ما يعطيني الله لذاتي. اذاً يدعوني وجودي ان اكون على علاقة مع آخر اي ان اكون اثنين. وانه لوهمٌ كبير ان يعلن الانسان اكتفاءه بذاته، فالانسان يعيش في الحقيقة كما يقول الكتاب المقدس بقدر ما يقدس علاقته بربه ويعترف بهذه العلاقة.

ولا تدل هذه العلاقة بالله على حقيقة زيدت واضيفت الى مجرى انساني ينشأ مستقلاً عنها استقلالاً تاماً. انها من مقومات الانسان كانسان وبالتالي مبتور كل انسان ينكرها ويحيا دون عبادة. ونحن لا ندافع عن الله بل عن الانسان نفسه اذ نحتج على مجرى انساني ملحد سواء كان ماركسياً ام ليبرالياً.

ويخطىء بعض المسيحيين الذين يعتقدون تجندهم للعمل الاجتماعي يفي بمتطلبات واجباتهم المسيحية ويغرب عن بالهم ان الدعوة المسيحية اوسع من ان تستنفدها محبة القريب، فمحبة الله فيها عنصر جوهري من عناصرها. فبالتالي يأتي في رأس مشاغل المسيحيين واجب العمل على الاحتفاظ بالله في هذا العالم الذي يئن من الحضارة التقنية.

وليست العبادة امراً مهماً في حياتنا الشخصية فحسب بل هي

ضرورة لازمة لحياة المجتمع . فمدينة تناطح مداخنها السحاب ولا نرى فيها اثراً لقباب الكنائس ان هي الا جهنم في الارض ...

واننا لنظن ان شاباً وفتاة يخدمان الانسانية اليوم بدخولهما الى الدير كما يخدمانها في المختبر وحقول العمل . اعتقد ذلك وانا اتطلع الى حضارة الغد والى الخدمة الاجتماعية . واني اردد مرة اخرى ان مجتمعاً انسانياً لا يعبد الله يفقد الهواء في جوائه . ليس من شك ان هذا هو الخطر الذي يهدد عالمنا اليوم .

وعندما تمر ببالي هذه الخطرات احس بقلق واتصور كيف يحقق الانسان بعد دعوته التقنية ويتخلف عن اداء البعد الآخر الذي هو العبادة .

اول ما يجب ان نعالجه هو النهج الذي سنعمد اليه للتوفيق بين حياة العبادة وحياة العمل ولدمجهما بعضهما في بعض . فقضيتنا الاولى هي ان نوطد العلاقة بين مشاغلنا الزمنية وبين ايماننا وان ندرك كيف تعبر هذه الاعمال عن ايماننا نفسه .

يسهل علينا ان نتبين هذه الصلة في حقول كثيرة فمن الواضح مثلاً ان الام التي تربي اولادها تربية خيرة تؤدي رسالة الهية وتتمم واجباً يحتضنه الله بنظره الابوي ونعرف ايضاً الانظمة التي تفصح عن ارادة الله في شؤون الحب الانساني وحياة العائلة .

اما على صعيد الحياة المهنية والسياسية الحياة العالمية فيعسر ما بدا لنا سهلاً اذ يكتنف العلاقة بين الايمان والمشاغل الزمنية شيء من الغموض .

احدى ميزات عالمنا المعاصر هي ان المحبة تخطت نطاق الفردية الى حياة الجماعة . اصبحنا نخون المحبة ان نحن حصرناها ببعض الفرنكات نجود بها على فقير نلقاه في طريقنا ام على باب الكنيسة . مناخها في عصرنا هو مناخ الانظمة والقوانين نساهم في اعدادها

وتطويرها مؤمنين لكل شخص حقوقه الانسانية الجوهرية على المسكن والعمل والحضارة ومختلف الشؤون التي تتكون منها كرامتنا الانسانية.

ان مساهمتي في انعاش حياة العالم تعبير عن واجب ، واريد ان اقول ، تعبير عن طاعتي لله التي تحملني على خدمة الجماعة .

يتهمنا البعض ان تعاليم الكنيسة في هذا المدى ، غامض المعالم ، يقتصر على توجيهات عامة . فنجيب ان خلاص عالمنا هو في العودة الى مفهوم للانسان تقدمه الكنيسة التي لا تزال تشدد على وجود طبيعة انسانية وقوانين للحب البشري وللمجتمع المهني والسياسي يتكون منها نظام يخضع له كل مجتمع صالح .

ان شغل العلماني الشاغل هو ان يطبق النظرة الالهية في الانسان ومصيره على شؤونه الخاصة . وهنا تبدأ روح الاكتشاف التي تحدث عنها « جان لاكروا » او هذه الروح كما يقول « غاستون برجه » التي تحاول ان تكيف وضع الانسان مع تقدم التقنية .

ان مشكلة عصرنا الكبرى هي ان نتعرف كيف نفيد من تقدم التقنية في حل قضايا الانسان حتى لا يتخطاه التقدم التقني ويسحق وجوده . افلا يحتم علينا هذا الخطر الداهم الذي يجول حولنا ان نأتي اعمالاً مجيدة تخلف مجتمعاً ينسجم وقوانين الله وشرائعه انقاذاً للعالم من ويلات وكوارث مريعة مرعبة .

يتخذ حضور المسيحي في العالم مظهراً آخر . تكلمنا حتى الآن عن الطبيعة الانسانية بنوع عام وأكدنا ان علاقاتها بالله هي احدى مقوماتها الاساسية . لكن من الواضح ان في المسيحية اكثر من هذه الحقائق . ففي المسيح أعلنت لنا غاية مصيرنا على الارض . وجاء كلمة الله نفسه وامسك بملء يديه باوهام طبيعتنا وحملها الى الآب ليغرقها في اعماق حياته الالهية . يقول « بسكال » : « لا نعرف ذواتنا الا من خلال المسيح » . المسيح وحده يحسر

الآثام عن السر الذي هو كل فرد منا .

اذا في المسيحية امور اسمى من القوانين الطبيعية تستدعي من المسيحي ان يقدس الواقع الزمني ويعد له مناخ النعمة التي يتفتح في جوائها بعد ان يكون تعافى من جروحه وازهرت كل فضائله . ويقدس المسيح العالم بالاسرار التي يمنحها كهنته ويحملها العلماني الى دقائق الحياة . ويبدأ هذا التقديس في سر الزواج الذي يبلغ في مناخ نعمته الحب الانساني ، حب الرجل والمرأة وحب الاولاد ، اعماقه الكبرى وذاق اعذب هناءاته .

نلتمس هذه الظاهرة نفسها في مختلف الحقول الانسانية . ففي مناخ النعمة فقط يتسلق العقل البشري اشمخ قممه . وتؤكد لنا دروسنا لفلسفة الهند ، وفلسفة اليونان القديمة وغيرها من المجاري الفكرية القديمة والحديثة ، ان بعض الحقائق لا تدرك الا في جو تغمره النعمة والوحي وقوى الايمان الحية .

يجب ان نخلص الى ابعد من هذه الحقائق اذا توخينا حلّ السؤال الذي طرحناه في سياق حديثنا . وهو هل الجفاء بين الله الذي يشدنا من طرف وبين اعمالنا الزمنية التي تشدنا من طرف آخر ، راسخ الجذور لا يتزحزح . لعمري ان حياتنا لتغدو مرسح متناقضات ، هذا ان لم تقربنا اعمالنا الزمنية من الله .

سوّي كل شيء في الوجود ليوطد وحدتنا بالله . ومرد كل بعد بيننا وبين الله الى امور اسأنا استعمالها واقمناها حاجزاً دون رؤية وجهه البهي .

فعلينا ان نحوّل هذه الحواجز الى وسائل تمهّد لنا السبيل اليه . يبدأ سيرنا الروحي بان نجابه هذه العقبات وينتهي بان نذللها ، فاذا هي وسائل خلاص .

عندئذ نستمد من نشاطاتنا الزمنية واعمالنا اليومية المادة التي

تنسج منها حياتنا الروحية والوسائل التي تقربنا الى الله وتحقق وحدة كياننا . ويعود الينا ان نبدل باعجوبة من القلب يومنا الذي تتأكله التفاهة وتستوعبه مهامنا اليومية الرتيبة التي تترك فينا عند المساء ضرباً من انواع الفراغ المرعب الى نهار مشرق يفجّر في اعماق نفوسنا سعادة لا يشوبها فناء .

وصفوة القول هي ان العبادة بُعْدٌ من كل مجرى انساني ، وان الانسان الذي يعجز عن الانفتاح على عالم السماء يشكو ضعفاً وهزالاً كيانياً ؟ وان كل عالم يعمل ولا يصلي هو عالم لاإنساني نضب هواؤه وضاقت فيه الانفاس . وما الصلاة الا حرب لانقاذ الانسان من الاختناق . يقول « جورج لابيرا » : « ان المدينة الحقيقية هي التي يجد فيها الله مسكناً الى جنب مساكن الناس » .

وخلافاً لما يظنه البعض لا يعطي الايمان حلولاً سهلة لمختلف قضايا الوجود بل هو يشكل خطراً على ارادتي التي تنشد الاكتفاء الذاتي والاستقلال اذ يصب الحب في حياتي وما يواكبه من تضحية وازعاج متواصلين . لا يجنبني المغامرة بل يجعلني ارضى بها . ولهذا السبب انا ارهبه واخشى ان تنوء كتفي بثقل مجده ، وادافع عن عالم انساني حدوده حدود افقي الصغير ، لا عن عالم تتخطى ابعاده ابعاد الزمن .

اريد ان ارسي وجودي ، في عالم صنعته يداي ، ان لا انجز عملًا لا ارضى به ، يتخطى نطاقي الضيق . انما لا يعود اليّ ان ازج بذاتي في هذه الوهدة التي لا تدعني الابدية ان اتعرف فيها الى ذاتي وحيث اتعلم ان الغنى في النزاهة والتجرد عالم على مدى وجودي يغريني اكثر ويورثني ازعاجاً اقل ، احس فيه انني في بيتي ...

ولكن يكون الله هذا الانسان الأليف الذي صنعته يداي ،

بل سيبقى يفجر في وجودي ينابيع الاندهاش ويوحي لي خوفاً مقدساً ، اللهم اذا كان الاله الحقيقي لا امتداداً لرغبات حرمت منها ، ذلك الاله الذي يزعزع تجليه في الابنية الواهية التي كنت اليها التجيء وبها احتمي ابان المحنة .

لا شك ان وجود الله يزيل عن عيني غشاوة الادعاء ، لكنه لا يهدم وجودي ، بل يحرمني ملكيته ، ويضطرني الى الاعتراف باني منحت هذا الوجود ... اي شيء لك لم تنله ؟ وان كنت قد نلت فلمَ تفتخر كانك لم تنل » . وضع كل كائن مخلوق يعلن عن خضوع جذري لآخر . انا لا اوجد الا بقدر ما اوجدني آخر .

وان الاقرار بهذا الخضوع لهو اروع اكتشاف يمكن ان احلم به في الحياة . ففيه اعرف اني وجدت لاني كنت موضوع حب منذ البدء . وتزول الى الابد عزلتي . ويفصح وجودي عن علاقتي بالسوى ويزيدني تعميقي في معانيه يقيناً بهذه العلاقة ويحملني على شكر النعمة وايجاد السبيل الى المشاركة . ولا يدل هذا الواقع على نقص بل على تجاوب معها في مقومات الكنائس . ويؤكد سر الثالوث هذه الحقيقة ذات المظهر المتناقض ان الاشخاص الثلاثة هم في الله منذ البدء اي ان الحب ملازم للوجود ، يكوّن جزءاً من مقومات الكائن . وهكذا تغدو علاقتي بالغير تجلياً للعلاقة المتبادلة بين الاقانيم الثلاثة في الله .

وتعلم المسيحية ان الوجود هو عالم الاشخاص يجمعهم الحب ، وان الحب يختلج منذ الازل في الله في الاقانيم الثلاثة ، وان كل جماعة روحية تشد المحبة قلوبها بعضاً الى بعض تعكس الثالوث الاقدس والالوهة ، وان بين الثالوث الاقدس والالوهة ، وان بين الثالوث وبين كل جماعة بشرية رباط ومشاركة في شخص المسيح الاله الحقيقي والانسان الحقيقي الذي « فيه صالح

الله الاشياء كلها » . الوسيط بين الجميع والشجرة الكونية التي تجمع بعلامة الصليب كل ما هو فوق وما هو اسفل ، الشرق والغرب .

ولنتخذ « الاب تيار دي شردان » في نهاية هذه الخطرات عن أبعاد الانسان ، دليلًا يطوف بنا على بعض الحقائق التي هي سر سعادة الانسان ، ويلقي عليها اضواءً من خبرته وعقله المشرق . فها هو يقدم لنا تشبيهاً بسيطاً يصف فيه ثلاثة نماذج من البشر يحمل كل فرد منا بذارهم في اعماق قلبه .

لنفترض يقول الاب « تيار » ان جماعة من المتنزهين ذهبت لتتسلق جبلًا صعب البلوغ الى قمته ، ولنتصور حالتهم قبل الانطلاق ببضع ساعات : فيمكننا ان نتمثلهم في تلك اللحظة منقسمين الى ثلاث فئات . فئة آسفة لانها غادرت الفندق تقارن بين التعب والخطر وبين متعة النجاح ، فترى انهما لا يتوازيان وتقرر العودة الى الوراء . وفئة ثانية راضية انها انطلقت : فالشمس مشرقة والحياة جميلة ، ولكن لماذا الصعود صوب فوق ؟ اليس افضل لها وأروح بالاً ان تستمتع بالطبيعة حيث هي من الجبل وسط الحقل وفي قلب الغابة ؟ وفئة ثالثة هي المتسلقون الحقيقيون للجبال الذين سمرت عيونهم في القمم وقد وطدوا العزم ان يحطوا عليها الرحال . فهؤلاء يتابعون المسير دوماً الى الامام .

يصنف الناس « تيار دي شاردان » الى فئات ثلاث : الى تعبين وعشاق لهو وحمسين . الى اية فئة ننتسب نحن ؟ سلوكنا في الحياة سيحكم علينا ويفصح عن مفهومنا للسعادة .

وماذا يقول التعبون ؟ هذه الفئة من الناس التي لربما نحن جزء منها . يقولون : ان الوجود ضلال واخفاق ، فلماذا نسعى ؟ لماذا لا ندع المتوحشين على توحشهم ، والجهال في جهلهم ؟ لماذا العلم ؟ لماذا الآلة ؟ اليس افضل لنا ان نستلقي على ظهورنا في

الحياة من ان نقف على الاقدام ؟ ان نموت من ان ننام ؟ .

وتقول الفئة الثانية عشاق اللهو وقاطفو ورود المتعة : ان السعادة ان تستمتع بكل لحظة وبكل غرض من اغراض الحياة ،

وان لا يُفلِت من يدك ولا قلامة من لذة ، وخاصة ان لا تفكر بتبديل النهج .

ويقول المحسون المؤمنون بالحياة صعوداً لا ينتهي وكشوفات تأتي عجباً كل يوم : نفضل ان نكون من ان لا نكون ، نستطيع ان نكون دوماً اكثف وجوداً – وهذا سر الفرح – ويقول تيار لنهزأ بهم ما استطعنا من الهزء ، لنحسبهم في عداد السذج ، لنتهمهم بالازعاج ما شئنا . ما همّ ، فلا ضير عليهم ما زالوا هم الذين صنعوا هذا الوجود وبهم ستتكون ارض الغد .

ان مواقفنا الاساسية من الحياة ثلاثة : موقف تشاؤم وعودة الى الماضي وموقف تمتع بالهنيهة الحاضرة ، وموقف توثب نحو المستقبل .

ويحدد « تيار » هذه المواقف الثلاثة التي لربما هي مواقفنا في الحياة تباعاً .

اولاً : سعادة الهدوء . ويقول ناشدوها : لا نريد ازعاجاً ولا مجازفة ولا جهوداً تبذل . هاجسنا ان نضيق نطاق علاقاتنا ، ان نلجم حاجتنا ، ان تنوس انوارنا . لتقسُ جلودنا ولنعد الى صدفتنا فالرجل السعيد هو من قل تفكيره وخشن شعوره وتلاشت رغبته .

ثانياً : سعادة المتعة . ويقول عشاقها : نبغي متعة لا تتبدل ، او افضل نريد متعة تتجدد دوماً . وما غايتنا في الحياة ان نعمل ونخلق بل ان نستفيد . رائدنا الجهد الاقل ، والجهد الضروري لتبديل الكأس والخمرة ؛ ان نمتد ما امكن كالورقة تحت اشعة الشمس ، ان نبدّل في كل لحظة موقفنا استزادة لاحاسيسنا . هذه هي وصفة السعادة .

والرجل السعيد هو الذي يستنفد في اللحظة التي تملكها يداه كل ما ضج فيها من متع الحياة .

ثالثاً : سعادة النمو . ويؤكد روادها ان السعادة ليست في حد ذاتها غرضاً نسعى اليه ، نمسكه بين ايدينا بل هي علامة ونتيجة ومكافأة العمل الذي نؤديه على وجهه الاكمل .

فالرجل السعيد لا يسلك الى السعادة طريقاً سوياً بل يجدها ويجد الفرح في العمل الذي يتكامل فيه ويندفع الى الامام .

ولنتابع السير مع دليلنا الى نهاية طريقه . ان كنت صادقاً وجاداً في طلبك السعادة فاصغ جيداً الى ما يخلص اليه « تيار » عن هذه المواقف الثلاثة الراهنة . ينكر « تيار » باسم العلم — اذاً هو لا يتكلم باسم الايمان فقط — ان اختيارنا يرجع الى مفاضلتنا الشخصية بين الاشياء والى ذوقنا وطبعنا ، مؤكداً ان الجواب الوحيد على الحياة في تطورها البيولوجي هو السير الى الامام .

الا نشبه مسافراً ، يقول « تيار » ، يقله قطار سريع بين باريس ومرسيليه ، يتساءل هل من الافضل له ان يسير نحو الشمال او الجنوب . نناقش ولكن اية جدوى لنقاشنا ؟ ان القرارات قد اتخذت دون ان يكون لنا رأي فيها وركبنا نحن السفينة . منذ اكثر من ٤٠٠ مليون سنة تتوق مجموعة الكائنات الكبيرة التي نحن جزء منها ، نحو مزيد من الحرية والشعور والرؤية الداخلية . ونتساءل نحن الى اين ذاهبون ...

ويقول « تيار » للذين يحلمون بالسير الى السعادة :

من يرد ان يدرك ملء ذاته ، ان يكون حياً ، ليكن اولاً محوراً لذاته ولينطلق ثانياً من هذا المحور نحو الغير ، وليركز ثالثاً محوره على كيان اسمى من كيانه .

ويلخص قوله داعياً الى ضرورة مقاومة ميلنا الى الجهد الادنى ،

والى تجديد حياتنا في الاضطراب الخارجي ، ولجم الانانية التي تدفعنا الى ان نتغلق على ذواتنا او نخضع الغير لسلطتنا ، يجب ان ننقل محور حياتنا الى من يفوقنا سمواً وتعالي كيان .

اطمئنوا ، فالسعادة لا تستدعي اعمالاً مرموقة خارقة لا قبل لنا بها . ها هي تدعونا لان نعمل ما الفنا عمله وما هو في متناول كل يد . ان وعينا لقدرتنا على التعاون مع شيء كبير يمكننا ان نحقق بطريقة سامية كبيرة ادنى الاشياء واقلها خطراً .

سعادة النمو ، وسعادة الحب ، وسعادة العبادة اي ان نكون اولاً ثم نحب ونعبد ، هي السعادة المثلى المنبعثة من انظمة الكون .

ويقول هذا الكاهن العالم ان بين الروحية المسيحية التي تنشأ حول المسيح الشامل كما يتكلم عنه بولس الرسول وبين المجرى الانساني الذي خططنا ملامحه ، انسجام مدهش .

ونعرف من الكتاب المقدس ما جواب الله على الانسانية التي يهز كيانها حنين الى المطلق . خلق الله الانسان للسعادة وتضامن معه في السراء والضراء .

لكن الانسان كان حراً ان يحب ، ان يبغض ، ان يخدم ، ان يثور . وكانت الخطيئة وكان رفض الانسان لله هدراً لسعادته . بقي الله على عهده مع الانسان على الرغم من تمرده ووعده بالخلاص .

رغم البكاء والاحقاد واليأس ، اقوى هو الرجاء بالخلاص ، واكثر سعي الانسان الى الايمان منه الى السعادة . ذلك الايمان الذي هو السعادة التي تنقذ وتطلب منها جهداً وكفراً بذواتنا متواصلاً.

ولنسمع من الاب « تيار » فعل ايمان :

« ان اوفى حل لقضية السعادة اجده في مجرى انساني مسيحي ، يعي فيه الانسان قدرته ليس على الخدمة في كل وقت وفي

كل موقف بل يحبّ في كل شيء عالماً يتطور مثقلاً بالحب ».

هذا الانسان الذي يجد السعادة في تحقيق ابعاده بالنمو والحب والعبادة يؤمن بقيم الوجود الكبرى التي هي جزء من سعادته، ويسعى الى اذاعتها في عالمه وتذليل كل الصعاب التي تجفف حيويتها وفاعليتها في تطوير المجتمع وتقديس كرامة الانسان. ما هم ان نعطى السعادة ان حرمنا معنى الكرامة. يؤمن بالحرية والكرامة الانسانية وعبادة الحقيقة.

ستوديو مصر
بناية اللعـازرية
تلفون : ٢٣٧١٧٠

STUDIO MISR
Imm. LAZARIEH
TÉL : 237170

المجهز بأحدث الآلات الالمانية

يقدم صورة مكبرة مجاناً

لكل من يتصور نصف دزينة باسبورت

اتقـان في العمل • مهاودة في الاسعار

☆ تسليم صور الباسبورات بمدة ساعة ☆

تظهير وتكبير ومبيع افلام، تلوين فني

تصوير جميع الحفلات والاعراس ليلاً ونهارا

بناية اللعازرية تجاه كاتدرائية مار جرجس

منزلة المرأة ورسالتها

بقلم

يوسف حبي – روما

ليس القصد في هذه العجالة رسم معالم كاملة عن منزلة المرأة، او محاولة تعداد جوانب رسالتها، بل انما بسط بعض خواطر بوسعها، بالرغم من الايجاز التي هي عليه، ان تفتح امام المرأة، وامام الرجل، آفاقاً رحبة وبعيدة.

الرجل بحاجة الى المرأة في تكامله الانساني

« فخلق الله الانسان على صورته، على صورة الله خلقه، **ذكراً وانثى** خلقهم » (تكوين ١ : ٢٧) . « واما آدم فلم يوجد له **عون** بازائه . فاوقع الرب الاله سباتاً على آدم فنام، فاستل احدى اضلاعه وسد مكانها بلحم . وبنى الرب الاله الضلع التي اخذها من آدم امرأة فأتى بها آدم . فقال آدم : ها هذه المرة عظم من عظامي ولحم من لحمي . هذه تسمى امرأة لانها **من امرىء** اخذت، ولذلك **يترك** الرجل اباه وامه ويلزم امرأته **فيصيران جسداً واحداً** » (تكوين ٢ : ٢٠ – ٢٤) .

ولعلنا نستنكر لاول وهلة هذا المفهوم ناعتين اياه بمفهوم متقادم العهد ورجعي . فالمرأة تظهر لنا فيه وكأن علة وجودها كائنة في الرجل، فهي في سبيل الرجل، منه، وعون له، بل وكآلةٍ يستخدمها لبلوغ مآربه واهدافه . بيد ان الحقيقة هي بعيدة عن مثل هذا التفسير وهذه الاستنتاجات .

ان آيات سفر التكوين تحمل طياتها من اجلّ المدح الذي قيل في المرأة وعنها . فالانسان خلق ذكراً وانثى معاً، والرجل يترك اباه وامه ويلزم

امرأته فيصيران جسداً او كياناً واحداً . وعلينا ان لا ننسى بان السفر هذا انما كتب في عصر كان مقدار اعتبار المرأة محدوداً ، بل لم تكن المرأة تقيّم بشيء ، بشيء اصيل وانساني على الاقل ، ولدى كل الشعوب . ولو لم يكن سفر التكوين قد كتب بوحي الهي ، لما كنا لنقرأ في تضاعيفه باكثر مما نقرأه لدى سقراط او افلاطون او ارسطو ، او في معطيات الحضارة البابلية او الفرعونية او الصينية . وبالرغم من كتابة السفر هذا بموجب عقلية كاتب ينتمي الى شعب معين هو من اقل الشعوب حضارة يومذاك ، وفي عهد كان فيه معيار الحضارة – وفي هذا الميدان بنوع خصيص – لا يزن الا قليلاً جداً ، برغم كل ذلك ، فان ما سجله الكاتب ، بوحي الهي ، لهو من الجدة بالنسبة الى حضارة شعوب ذاك العهد ، كاكتشاف مركزية الشمس ، بل واكثر ، لانه تقييم المرأة كشخص بشري .

خطيئتنا نحن اننا اذ اضحينا نعتاش على مؤونة الجدود وتكونت لنا عقلية بفضل تراث الآباء ، امست لنا حقائق كبيرة كثيرة كامور عادية ، فرحنا نجحف الحق الاصيل لمن مكننا من تكوين عقليتنا ، ولم نعد نرى اليد التي اعطت ، ولم نتنبه الى كون ما بات لدينا اليوم امراً عادياً جداً ، كالمساواة بين الرجل والمرأة ، قد كلف البشرية غالياً ، ولم نكن لنحلم بكل ذلك لولا الوحي ، ولولا العباقرة ، اولئك خاصة الذين عرفوا ان يغترفوا من معطيات الوحي امهات افكارهم فاتوا بخواطر وخلاصات بديعة .

ونحن ان استعدنا الى الذهن بعضاً مما كانت عليه منزلة المرأة لدى سائر الشعوب في عصور ما قبل المسيح ، واذا ما كنا نزيهين ، فسنقر حينذاك بان آيات سفر التكوين لتحتوي على تصريح لا اجمل منه ، يمنح المرأة قدراً شريفاً . فحواء لم تخلق لتكون اداة لهو لآدم ، او غرضاً يستخدمه كيفما شاء ، بل هي حتى ليست بوسيلة ليتمكن بها آدم من بلوغ كماله الانساني . اذ ان آدم لن يجد سعادته ، ولن يحقق هدفه في الحياة ، ولن يبلغ نضوجه الانساني ، بدون حواء . الرجل بحاجة الى المرأة لتحقيق غايته الاخيرة ، الكمال . فهو بحواء فقط يخرج عن عزلته الانفرادية وانانيته البغيضة ، اذ « لا يحسن ان يكون الانسان وحده » ، اي انه

بجواء يقضي على السبب الاكبر لانقراضه الطبيعي وموته الروحي ، ويدك بهذا العون – الصنو ، الحاجز الرئيسي الذي يصده عن التكامل .

واذا ما رحنا ننظر الى هذه الآيات بعين اكثر عصرية ، مجردين اياها من طابعها الزمني والمكاني ، استطعنا عند ذاك القيام بامر بسيط ، وهو قلب الآيات فالخلوص الى القول بان المرأة – الانثى هي ايضاً بحاجة الى الرجل – الذكر لبلوغ نضوجها وكمالها . فالمرء اجتماعي من ذات طبعه ، ولا يحسن له ان يبقى وحيداً ، واول شريك للذكر هي الانثى ، ولذا خلق البشر ذكراً وانثى معاً . والمرأة ، كما والرجل ، قد خلقا ليحققا شخصيتهما بالتعايش معاً ، بالاحتكاك بالغير من الذكور والاناث ، باخذ الكثير واعطاء الكثير ، سيما ما بين ذكر وانثى معينين ، بالنمو جنباً الى جنب ، « ولذلك يترك الرجل اباه وامه ويلزم امرأته فيصيران جسداً واحداً » .

التسامي بهذه النزعة الطبيعية

وبوسع الرجل ، كما بوسع المرأة ، ان يسموا بهذه النزعة الطبيعية والضرورية على صعيد الواقع الوجودي . ولكن ليس بتنكر الرجل للمرأة او بتجاهل ضرورة دورها من حياته ، في جميع المجالات التي يجري عليها تقلب حياته ، بل ليبتعد عن التفرغ لواحدة ، وللصيرورة لكثيرات وكثيرين ، للكل ، وعلى صعيد هو وحده يفسح المجال لابعاد اللامتناهي . ومتى كان هذا التسامي صحيحاً ، اي متى لم يتأتَ عن انانية هي على النقيض من صبغته ، فهو حينذاك بطولة حقة .

بيد ان المرء الذي يحس بنزعة شديدة فيه نحو الشمولية ، والذي بوسعه ان يغدو بطلاً على صعيد الصداقة والحب متى استطاع التسامي بنزعته ، هو في الوقت ذاته مدفوع بغريزة اخرى ، شديدة ايضاً ، بل وهي اشد عادة من الاخرى ، لانها اكثر ظاهرية وحساً ، كونها سلاح الطبيعة لحفظ الجنس ، هي غريزته نحو الصداقة الخاصة والحب الفردي ،

والتي تدفع الذكر على اختيار احدى الاناث ، فيكون عادة لكل آدم حواؤه ، مع الاحتفاظ بالانفتاح على الغير . وهي سنّة الطبيعة . سنّة الله .

المرأة صديقة وام كونها تكمل الرجل

ان المرء يعتاز الصداقة كما يعتاز الماء والخبز والهواء . والرجل البالغ والسليم انما يعتاز صداقة المرأة فوق كل شيء ، كما وتعتاز المرأة البالغة والسليمة صداقة الرجل قبل كل احد . وصداقة الرجل والمرأة متى كانت طبيعية وانسانية ، فهي حب يجمعها معاً وحتى الابد ، حب زواجي لا يلبث ان يغدو مخصباً ، فيفرع ويثمر ، ونلقانا حيال الابوة والامومة .

غير ان الابوة والامومة هما ليستا منحصرتين في الولادة الطبيعية الجسدية وحسب او في انجاب البنين وكفى ، انهما لأبعد من ذلك بكثير .

ان الفارق الجلي بين الامومة ، او الابوة الحيوانية ، والامومة الانسانية ، لهو دليل على عمق الامومة الانسانية وذهابها الى ابعد من اللحم والدم . فمعظم الحيوانات لا تعنى بصغارها او هي تعنى بها في حقبة وجيزة جداً ، بينما لا يعيش الطفل اذا ما ترك وحده ، ولن يحصل على ثقافة انسانية الا بمساعدة الغير ، واول الغير همـــا والداه كلاهما ، لن يعوض عنهما كما ينبغي احد البتة . فوليد البشر لا يعتاز الى الحليب وحسب ، بل الى اشباع النفس عن طريق الحواس كي يكوّن شخصيته . ونموه الحق لن يكون متكاملا ، ومن سائر اوجهها ، الا في اختيار طعام الجسد جيداً ، وهضم هذا الطعام بنوع يسمح له بالتحول الى دم فنمو ، وبالتشديد بنوع اكبر على اختيار طعام الروح ، وعلى ضرورة هضمه جيداً فيتحول الى فكر نقي وارادة حاسمة وشعور نبيل ، فشخصية انسانية سليمة .

والبالغ ايضاً كاليافع هو بحاجة الى التعرف على الغير ، الى صداقة الغير ولا سيا ذوي الشخصيات الاصيلة لبلوغ نضوجه . لذا عليه مصادقة اولئك الذين لم يعرفهم بالجسد ، لانهم قد رقدوا لسنين واجيال ، والذين

هم رغم ذلك من اشد الاحياء بكتبهم وآثارهم الفنية او مثلهم الحسنى . وعليه مصادقة الغير الذين يحيا واياهم . والرجل في ذلك كله بحاجة الى مصادقة المرأة ، والمرأة الى صداقة الرجل ، لان كلًا منهما مكمل للآخر ، سواء في التكوين الطبيعي ، وسواء وخاصة من الناحية النفسانية ، وعلى صعيد الميول ومهاميز التكامل . فالمرأة متى كانت انثى حقة ، ليس في تكوينها الجسدي فقط ، بل وفي طبعها ايضاً ونفسيتها وميولها وعوائدها وفضائلها ونوعية شعورها بالحياة ووعيها للوجود ، فهي تختلف آنذاك عن الرجل ؛ والرجل هو بحاجة اليها من اجل هذا كله ، وهو بحاجة اليها بكليتها ، ليكمل بها ما ينقصه ، اي هذا العنصر الانثوي ، وليغدو انساناً . والرجل ايضاً ، متى كان رجلًا حقاً ، احتاجته المرأة عند ذاك وبكليته لتكمل ذاتها به .

واذا ما رحنا نشرح الفكرة هذه قلنا بان ميزة المرأة التي تختص بها نفسانيتها هي في كونها كالطبيعة ، بينما ميزة الرجل هي في كونه كالفعل . وهي دينامية الرجل لا شك تجعله يتبوأ المحل الاول ويتقدم على المرأة في عدة مجالات ، ولا سيما في تلك التي تكشف عنها الافعال والاعمال الظاهرية ، بينما تشبّه المرأة بالطبيعة يجعل منها اقل تقلباً من الرجل ، او هي ان تقلبت فبالتحول من حالة الى حالة اخرى مختلفة تماماً ، مع الانصراف بكليتها الى الامر الواقع الذي تحياه في ذاك الطور من حياتها والاندماج به في ظروف واقعها . واذ ترغم الرجل – الفعل ميزته على البقاء في موقف وسطي قلما يتعداه بل يظل غالباً يطوف في اطر جوه يقوده منطقه ، تندفع المرأة – الطبيعة الى المجالات القصية ، فهي اما ترتفع حتى اسمى ذرى الكمالات ، او ينخفض بها الشعور الى احط دركات النقصان . وان دينامية الرجل تحرك الانثى وتدفعها على اللحاق بالذكر ، ولكن الرجل – الفعل لا يعتم ان يشعر بضعفه تجاه المرأة – الطبيعة ، فينضم اليها . ويبقى ان خاصية الفعل تدفعه مراراً الى التقلب من طبيعة الى طبيعة ، لا يخصص لكل منها سوى جزء وردح محدودين من وجوده ، وحتى متى يلتقي بطبيعة ترضيه جداً ، بينما تكتفي الطبيعة

بفعل واحد تفتعل واياه وتروح فتحقق ثمرته في اعماق الكيان . بيد ان الصحة هي في تعديل الفعل بالطبيعة ، فيكتسب الرجل من المرأة ما يعتازه نفسانياً ، وتحصل المرأة على ما ينقصها ، ومن دون ان يفقد كل منهما ميزته الخاصة به وحده . بل ان وحدتهما هي لتكاملهما معاً ، تدفعهما الى ذلك نزعتهما التزاوجية الطبيعية .

وعلينا ان نلاحظ هنا ايضاً بانه بوسع المرأة ان تسمو بهذه نزعة التزاوج ، ولكن من دون التنكر للعنصر الذكري ، ولا امومتها خاصة ، كما ليس في مقدور الرجل الحق التضحية بالعنصر الانثوي وبأبوته . اذ ان كل امرأة ام ، وكل رجل اب . والويل ان لم يكن كذلك ، اذ سيكون القضاء على الشخصية البشرية ، او بالاصح على الوجود الانساني الواقعي . فاذ يجتمع ذكور واناث الحيوان معاً ، بعضها لساعات وغيرهما لايام او اشهر الجماع او الحبل والولادة وصغر الوليد لا غير ، نحن نلقى اجتماع الرجل والمرأة يختلف تماماً عن الخطة هذه ، بل هو متميز ولا علاقة له احياناً بغريزة التوليد الحيوانية . انه لقاء شخصين بشريين تدفع اليه نزعة طبيعية وتفرض ديمومته حاجة الذكر الى اتمام نقصانه بالانثى، والانثى بالذكر.

ولكننا اذا ما درسنا المرأة جيداً ، رأينا بانها كالطبيعة ميالة الى الامومة ، والجسدية منها ايضاً ، اكثر بكثير من اندفاع الرجل نحو الابوة . غير انه للمرأة ايضاً مراحل حياة متعددة . فهي تمر في حياتها بحقبة تكاد تنحصر ميولها برمتها في الامومة . بينما هي تجتاز حقبة اخرى تكون فيها هي ايضاً بامس الحاجة الى حب صديق والانضمام الى زوج . والرجل الذي تمتد في حياته حقبة عوزه الى صديقة وزوجة ، يمر هو ايضاً في مرحلة من الحياة ، هي متأخرة عادة ، يشعر فيها بحاجة شديدة الى الابوة . ولذا ، فان اردنا ان نحق وجب علينا القول بان للمرأة ، كما للرجل ، ميلين طبيعيين نحو الصداقة او الحب ، ونحو الامومة او البنين . وانما يضعف او يشتد الميل الواحد دون الآخر ، ويتلوّن باكثر من لون ، بموجب تفاوت عمر المرأة ونضوجها ، وعمر الرجل ونضوجه .

واما الضروري والهام فهو جعل الغريزتين الطبيعتين هاتين نزعتين انسانيتين ، اي انماؤهما على حسب سنّة البلوغ الانساني . فالحب انما يتنقل من مرحلة الى مرحلة اخرى ، ولكن علواً وتسامياً .

وان مفهوم الامومة البعيد والعميق والمتكامل الاطراف يؤهلنا ان نعلن بان الصديقة الحقة هي ايضاً ام حقة ، ان لم يكن طبيعياً – مادياً ، فطبيعياً – روحياً ، وليس بالنسبة الى البنين فحسب ، بل الى الرجل – الشريك ايضاً . والصديقة الحقة والأم الحقة هي المرأة الناضجة ، ليس في عمرها الزمني ، بل في عمر شخصيتها المندفعة في الخلود . وان العامل الاكبر لفشل معظم الزواجات هو في الانفصام الذي ينشأ غالباً ما بين صداقة وحب الزوجين . فحب الزوجين ان لم يكن صداقة ايضاً يبقى منقوصاً ، كما وان لم تكن الزوجة اماً ايضاً لرجلها ، والزوج اباً ايضاً لامرأته ، فلا حب – صداقة بينهما .

امرأة هي اعظم الناس

يحتضن تاريخ البشرية عباقرة من اكثر من صنف . ولكننا متى اخذنا اي عبقري كان ، لقينا له وجهين : وجهه الناصع النير ، ووجهاً آخر مجهولاً او منسياً هو ليس على تلك النصاعة او على ذاك طفوح النور او العبقرية . بوسعنا ان اردنا ان نحطم ، وعن كثير من حق ، تمثال اعظم العباقرة . ولسنا نستثني هنا عباقرة صنف ما ، اياً كان ، وحتى صنف عباقرة القداسة . فهي هذه وضعية شريعة التكامل . واحد هو كامل ، وهو الله . واما الانسان فحتى لدى بلوغه الشأو الاكبر من التكامل ، فهو يبقى بعيداً عن الكمال . غير ان من تشبه بالله بالقدر الاكبر ، اي من حقق القسط الاوفر من الكمال في وجدانه ، وكان بالتالي الشخص الاعظم الذي عرفته البشرية ، فهذا هو ليس برجل ، انه امرأة . هي مريم .

ومريم هي اعظم الناس لانها ام المسيح الاله – الانسان . ونوجز القول هنا جداً فنقول بان مريم هي ام المسيح بالجسد وهي ام المسيح بالروح . وان عظمتها تكمن في امومتها الروحية للمسيح اكثر مما في امومتها الجسدية .

فالروح افضل من الجسد . ولكن ليس من شك بان امومتها الروحية المسيح تفوق كل امومة روحية اخرى للمسيح ، لان مريم هي ايضاً ام المسيح بالجسد .

كم هم ماديون اولئك الذين يتشككون من حادثة الانجيل التي اذ يأتي فيها اخوة وام يسوع طالبين ان يكلموه بينما كان يخاطب الجموع ، يرد بان « كل من يعمل مشيئة ابي الذي في السماوات ، هو اخي واختي وامي » ؛ فهم يفضلون عن علم او جهل الامومة الجسدية على الروحية ، بينما يلجأ غيرهم الى تبرير ذلك بنسب جواب المسيح الى تفضيل القرابة الروحية على الجسدية . ولكن مَن كمريم سمع وعمل بمشيئة الله ، هي التي تقبلت الدعوة الالهية ففاهت امام الملاك المبشر بعبارة « ليكن لي حسب قولك » ؟ ولذا فالطوبى لها ، ليس كونها حملت يسوع في البطن وارضعته من ثدييها ، بل لانها سمعت كلام الله وعملت به ، اي لانها احبت المسيح من كل قلبها ونفسها ، فكانت له اماً حقيقية ، بالجسد والروح . وصارت بالتالي اعظم الناس واكبر مثال بشري لهم وارفع مجـــد للنساء .

ولسنا بحاجة الى الذهاب فتحليل اكثر من آية في العهد الجديد للتوصل الى القول بان المسيحية لم ترفع من قدر المرأة فحسب ، بل هي قد أحلتها في منزلة يحسدها عليها الرجال انفسهم ، وبالحوادث والوقائع اكثر مما بالاقوال والتصريحات . فليس في هذا الغرض من الخواطر هذه . ولكننا ان اعتبرنا هنا ايضاً الاوضاع الواقعية التي كانت عليها المرأة في عهد فجر المسيحية ولدى جميع شعوب تلك العصور ، لعرفنا حينذاك بان الوحي نور جديد لم يكن بمقدور شعوب تلك الازمنة ان يحلموا به بل وحتى ان يستحقوه ، لولا حب الله .

انطلاقــــة

فالمرأة شخص بشري . والشخص البشري غاية وقمة . وهو من الهمجية اعتبار المرأة كآلة . وهو من العبودية الأخذ بالمرأة كوسيلة . وان كان

لا يزال في شرقنا المتوسطي بعض الصيغ المتأتية عن هذه المفاهيم الخاطئة ، فينبغي القول بان المرأة لم تتبوأ بعد منزلتها الحقة حتى في بلاد الغرب التي منحتها في الغالب ظواهر وقشوراً بدل اعطائها اصالة كرامتها . بل وان التحرر الغربي المعطى عادة للمرأة ، قد جعل منها العوبة يتلهى بها الرجل ، وترضخ هي لواقعها السطحي خانعة عن غنج او دلال او اسبقية ليس لها من عمق انساني اصيل ويجب القول بان الحضارات والعصور هي ايضاً بمجملها ضد المرأة ، ضد تحرر المرأة ، تحررها الصحيح الذي يجعلها تشعر بذاتها شخصاً بشرياً هو قمة وغاية ، وبانها انما تحتاج الرجل لتتكامل ، كما يحتازها الرجل ليبلغ نضوجه الانساني ، او بالاصح ليحققا نموهما معاً بالسعي والتوصل الى الاهداف الانسانية البعيدة . نحو هذه الاهداف اهيب بالمرأة الشرقية . فتحرر المرأة هو لدى اعتلان شخصيتها الانثوية ناضجة انسانية . وهي منزلتها ورسالتها .

لماذا

أومن بالكنيسة

بقلم

الاب اوغسطين دوبره لاتور اليسوعي

يوم طلب الي الاب ميشال حكيم هذه المحاضرة ، حدد لي موضوعاً ظننت اني سأختبىء وراءه مرتاحاً. فكرت بان علي معالجة الموضوع التالي: الاسباب التي يرتكز عليها ايماننا بالكنيسة. ان مثل هذا الموضوع ليس بالسهل لعمري. كان يلذ لي ، اقله في اتجاه المجمع المسكوني ، ان ابين كيف ان ايماننا ، ليس ايماناً شخصياً فحسب ، انما هو في الاصل ايمان جماعي نقبله ونحياه كلما نما في هذه البيئة البشرية والالهية التي هي الكنيسة. وبكلام آخر ، كنت قدمت لكم بديهياً عرضاً لاهوتياً يظهر لي اساسياً ، فتستمعون حينذاك الى مقتطفات من درس

اللاهوت. كان ذلك سيكلفني جهداً في التفكير ولكنه لا يلزمني شخصياً ومباشرة.

ولكن عاد الاب حكيم ليحدد لي بدقة الموضوع الذي تريدون الاستماع اليه هذا المساء وهو: لماذا تؤمن بالكنيسة، انت، شخصياً؟ فعلمت ان ليس علي ابداء ملاحظات لاهوتية، بل ان اقول ايماني انا بالكنيسة. يريد مني شهادة وليس مجرد براهين مهما كانت قوية. هذا عمل يحرجني، لان ايماني بالكنيسة لم يعد مسألة فكرية بل مسألة حياتي نفسها. ومن الصعب دائماً معالجة تجربة شخصية، من الصعب ان نجد الكلمات للتعبير عنها. وعليه احدثكم عن اختباري الخاص.

ان تجربتي الكنسية من حيث الايمان وعلى الصعيد النفسي، هي كما اظن، من نوع تجارب الحياة العيلية. فنحن ننتمي لعائلة فيها ولدنا ونشأنا واكتشفنا من خلالها العالم. انما اختبارنا لهذه العائلة التي غذتنا يبقى من عالم الحدس ولا يرتقي الى فهم طبيعتها وغناها الا بعد زمن طويل وربما بعد ان نفتقدها. فلا نقدرها غالباً حق قدرها الا بعد موت الوالدين اذ انهما لم يمنحانا فقط حياة الجسد، بل نهج تفكيرنا، نهج

نظراتنا الى العالم ، ونهج حبنا . وتظل تجربتنا مصطبغة بحياتنا العيلية حتى بعد ان تغتني بها الحياة. ان الثورة نفسها التي يخبرها كل جيل طالع بالنسبة لمن تقدمه تحتفظ بطابع هذا المنشأ.

واذا لبثنا متسمين بطابع اصلنا في طريقة فهمنا للحياة او احساسنا ، حتى وان شعرنا بهذا الارتباط ونحن في بيئة غريبة ، فاننا نعجز عن اداء هذا الطابع لانه مرتبط بحدسنا فنتأكده ولا نعبر عنه .

وهذا التأصل العيلي الاساسي يولينا الاستقرار في الحياة وامام الاحداث والمواقف ، ويكشف لنا عن نداءات البطولة . فنحن نريد ان نبقى مخلصين لانفسنا وبالتالي مخلصين لتقاليد الاستقامة والشهامة المتناقلة او التي شاهدناها . تلك الامثال التي رويت علينا والتي رأيناها حين كنا اطفالاً وشباناً ، التي تعود الى ذاكرتنا وتؤثر فينا الى اليوم ، ومنها امثلة التضحية والمحبة والغفران من قبل الوالدين والجدود.

هل من الضروري ان نضيف بأن مأساة فئة من شبان اليوم ، كالخنافس وغيرهم ، هي ازمة مردها الى انهم فصلوا عن محيطهم العيلي بفعل سرعة تطور العصر الحاضر ، او تفكك عرى الاسرة ، او

رغبة الاهل في التحرير من مسؤوليتهم تجاه اولادهم ومبادرة الحياة على هواهم. حينذاك يكون من الطبيعي ان ينصرف اولادهم الى جماعة او عصابة، علهم يتأصلون فيها بعد ان فاتهم التأصل في المحيط العيلي. ولانهم لا يجدون في عيالهم قواعد حديثة يدينون لها، فهم يفتشون عن هذه الشرائع الاساسية في نهج الجماعة او العصابة، فهي عندهم شرائع مقدسة بقدر ما هي اساس وحيد في وجودهم. ولكننا نعرف الى اي التطرف يقودهم ذلك.

فالعائلة في نظرنا هي تأصل في تقليد قديم نعرفه ونحبه ومن خلاله ترسخ نظرتنا الناضجة الى العالم.

وان اكن تبسطت هكذا في تحليل التقليد العائلي، فلأن هذا الوجه لشخصيتنا، الذي لا يمكن التنكر له، ينتمي للكنيسة او على الاقل يوضح قضية ايماني بها. وعلى كل حال نحن من ولدنا وتربينا في الايمان المسيحي، لم نتعرف على الكنيسة الا من خلال حياتنا العيلية. وحياتنا في الكنيسة وقّعت سنينا الاولى، معموديتنا، مناولتنا الاولى، الزواج، كانت اعياداً دينية كما ان الميلاد وعيد الفصح كانا من اعيادنا العيلية. فمعرفتنا للكنيسة مرتبطة

ارتباطاً وثيقاً بوعينا على الحياة والتقاليد العيلية.

ان هذا الارتباط الوثيق لدليل على الصعوبة التي نشعر بها في التعبير عن الايمان الشخْصي بالكنيسة. فهذا الوعي نفسه هو من مواطن الحدس، وتحليله يعرضه دائماً للتشويه والتقليل من غناه. وهذه الصعوبة تزداد بالنسبة الي من حيث اني ولدت في الكنيسة الكاثوليكية، ونشأت على المبادىء المسيحية في عائلة مسيحية، وفي الكنيسة اصرف حياتي ككاهن وراهب ومعلم لاهوت. لذلك ليس لدي البعد الكافي عن هذا الارتباط بالكنيسة لأعي بوضوح ايماني بها. كما انه لا يمكنني ان أعي بوضوح ذاتي او طباعي. فصديق لي لاجدر مني بوصفها لكم.

فلهذا السبب، ان افضل طريقة للتعبير عن ايماني الخاص بالكنيسة، هي في ان اعطي هذه الشهادة التي طلبها مني الاب حكيم. وللشهادة كغاية بذاتها. انها وجدت وكفى. فلا يمكننا ان نشك بحدث واقع، لانه بمجرد وجوده يفرض ذاته. فأكتفي هكذا بمحاولة ان اقول لكم: لماذا أومن بالكنيسة، مكتفياً بايراد ملامح حياتي في الكنيسة.

لقد ولدت كاثوليكياً، في اسرة متشددة في

الكثلكة، اعطت الكنيسة اربعة من ستة بنين في الحياة الرهبانية. ودون ان نشعر بشيء من تعصب، من الاكيد اننا لم نتعرض لظرف او تجربة نشك فيها بما تنقله لنا الكنيسة، سواء من قبل اهلنا وكانوا آخذين باوامرها وشعائرها، او من قبل المعاهد الدينية التي درجنا فيها.

كشفت لنا الكنيسة عن وجهها بواسطة المربين الدينيين او كهنة الرعية وكنا على علاقة احترام او صداقة معهم. وكنا نسمع احاديث عن جدنا، وكان قاضياً، استقال من منصبه، حين استولت الدولة على املاك الكنيسة في فرنسا سنة ١٩٠٢ خوف ان يمد يده باسم الدولة العلمانية على كنائسها وبيوت كهنتها. وفي شيخوخته اصبح بطريرك الاسرة، وقد خلَّف في جوها طابعه الخاص. كانت الكنيسة لنا واقعاً مقدساً يشترك بطابع القداسة الالهية. كان من الواجب تضحية كل شيء لكَي لا تمس سلطة الكنيسة في شيء. انها لتستحق كل بذل في سبيلها.

وقد زاد طابع الامانة هذه للكنيسة، الشامل حياتنا العيلية كلها، ذكرى عم لنا ساهم مع فريدريك اوزانام في تأسيس محاضرات القديس منصور دي بول،

ولا انسى اخي الاكبر الذي تعرفونه اكثر مما تعرفونني، وكان قد دخل رهبنة اليسوعيين قبل مولدي. كنا اذاً لا نشك ابداً فيما تقول الكنيسة.

ثم اعتنقت بدوري الحياة الرهبانية. وفي هذه الحياة على الاخص عرفت الكنيسة على حقيقتها. واظن اني من خلال التقاليد الدينية ايضاً فهمتها فهماً اوفى عمقاً. هذا التراث الذي جاءتني به حياة القديسين الذين تنشؤوا على ذات النهج وعاشوا بالروح الذي كنت احاول ان اعيش به. هؤلاء القديسين الذين كيفوا هذا الروح باختبار اتحاد صميم مع المسيح.

كان يصلني هذا التراث ايضاً من خلال المحاضرات وحياة من عرفت آنذاك من كبار الرهبان ورفاق صفي. فهذا الوفاء للتقليد الروحي في الكنيسة كان يدل بالأحرى الى وجه المسيح الاكبر. المسيح هو من الذي يستحق ان نهب الذات كاملة لخدمته، جسداً ونفساً. كنت افهم ذلك، فلا اعتراض على اي امر يخصه. والكنيسة التي كانت تظهر لي هكذا من خلال التقليد الحي والحاضر، كانت في الواقع تتلاشى حالاً امام شخص المسيح، كلمة الله المتجسد، فتنقل حضوره القريب جداً والسري.

وبشروعي في دروس الفلسفة العليا، بان لي حضور المسيح اكثر شمولاً. وأذكر اني درست الفلاسفة الكبار، اخص منهم الالمان، مثل كانط وهيغل. همني منهم بحثهم عن الحقيقة. وهذا البحث اللاواعي في الغالب، كان لا بد، يقودهم حتماً الى المسيح حقيقة الله، اذا صحت نياتهم وكان بحثهم نزيهاً. قام دورنا نحن المسيحيين، في ان نتعمق في افكارهم حتى نكتشف فيها هذا السعي الخفي، لا ان نحاول افحامهم كأخصام، فنجهل بذلك او نحتقر مكانتهم الفكرية. وقد بدا لي ان كل انسان يبحث عن الحقيقة انما يسعى بالتأكيد على طريق تقوده الى المسيح نور العالم. وهكذا فهؤلاء الفلاسفة، بروتستانتيين كانوا ام ملحدين، كان لا بد تربطهم علاقة ما بالكنيسة. وبنزاهة قلوبهم ونزاهة تفكيرهم، كانوا يؤلفون فئة من ذلك الشعب في مسيره الى الله وبالنتيجة الى المسيح.

وبذات الروح وجهت علاقاتي مع رفاقي في مخيمات عمل الشباب، وهي بديل الخدمة العسكرية في الحرب الاخيرة. وآثرت ان اصادف من بين هؤلاء الرفاق اخلصهم وهم في الغالب شيوعيون.

فكان يجمعنا صعيد واحد من الاقتناع والالتزام فنتكلم الكلام الواحد . وقد حفظت علاقات الصداقة والوفاء معهم حتى اليوم . فهم وان كانوا غرباء عن الحقيقة المسيحية ، ومشبعين من الاحكام الخاطئة عليها ، كانوا يعيشون بروح من الاخوة والمحبة تعدت الروح الماركسية باشواط . وقد اخبرني احدهم منذ قليل كم اثرت فيه شخصية يوحنا الثالث والعشرين . ولست أشك في ان رجالاً كهؤلاء يسيرون في نزاهة قلوبهم نحو الكنيسة . وما زادني المجمع المسكوني الأخير الا رسوخاً في هذا الاعتقاد .

وفي بدء دروسي اللاهوتية صدف ان عمت ازمة من ازمات العقيدة عشتها مع الرفاق في اشدها . طبعاً لم نحاول ابداً ان نفصل بين المسيح والكنيسة ، وبالنسبة لي كانت الكنيسة المؤتمنة على رسالة المسيح وبشارته . انما عمت سنة ١٩٥٠ أزمة ضميرية كادت تأتي باسوإ النتائج . فقد علمنا في احد ايام حزيران من تلك السنة ، بان خمسة من اساتذتنا ، معلمي اللاهوت ، قد ابعدوا عن منابرهم ، اثر صدور قرار روماني ، وكان منهم الاب دي لوباك . فكثيرون منا لاحظوا سحب هذا الكتاب من كتبهم او ذاك

من الاسواق، وكان يعني ذلك نوعاً من الحرم الملطف، فلم نفهم. وكان هؤلاء ممن يتجاوبون مع مطامحنا. وبفضلهم كانت العقيدة المسيحية تتألق بالحياة والواقعية. وكانوا من كشفوا لنا، وبأي جلال، عن سر الكنيسة نفسه. وبعد شهرين صدرت البراءة الحبرية المشهورة Humani Generis وكأنا بها، بموقفها اللاهوتي الصارم، قد انقطعت عن الفكر المعاصر، وفيها نبذ لآراء نسبت لهم او للأب تيار دي شاردين، وكنا قرأنا كتابه المخطوط « المحيط الالهي ». كان ذلك مغلقاً علينا. وقد وضعنا، بالرغم من ظاهر المرح والنكتة، في موقف حرج : فاما نحتفظ بوفائنا المطلق للكنيسة وسلطتها التعليمية، ونقطع علاقتنا مع تفكير معاصرينا، واما نبقي على علاقتنا بعصرنا ونقلل من وفائنا للكنيسة.

انما في ذلك الوقت ايضاً، اطل علينا شخص من قبل العناية الالهية، كان كاهناً شيخاً وحكيماً، شبه لنا الكنيسة بتطواف كبير، في مقدمته اولاد الهيكل يحملون الصليب والشموع، ثم طلاب المدارس، ثم الشبان، ثم الرجال البالغون يحيطون بالكاهن الشيخ حاملاً القربان المقدس. فالاولاد،

طليعة التطواف ، يميلون الى السرعة في المسير ؛ وهكذا قليلًا قليلًا ، يتباعد المطوفون ويكاد التطواف ينشطر الى فئتين : الاولى منها ليست تطوافاً بالقربان المقدس ، والثانية على كل حال ، ناقصة . فيجب اذن ان يتمهل الاولون حتى يتمكن الكاهن الشيخ ، مع حمله المقدس ، من متابعة المسير . لقد فهمنا . انه يحق لنا ان نفكر ونلحق بركب معاصرينا ولكن شرط ان لا ننقطع عن التطواف ، اي عن الكنيسة ، لانها هي التطواف ، تحمل القربان المقدس . فحذار من الركض فيما بعد لاننا بذلك ننفصل عمن هي في الحقيقة، المؤتمنة على البشارة ، وحافظة كلام الحياة الابدية .

لقد تركت هذه الازمة اثراً عميقاً في جيلنا . انها زعزعت لوقت ثقتنا المباشرة . انما علّمنا ألمنا نفسه ان الكنيسة هي الحارسة الوحيدة لحقيقة المسيح وان بالوفاء لها نلاقي المسيح الحيّ ، لا كما كانت تصوره لنا عقولنا المحدودة ، بل حاضراً في التقليد ينقله الينا . ان موضوع تفكيرنا اذاك قد وجدناه اليوم مطوراً وفي مراجع رسمية من المجمع الفاتيكاني الثاني . واعلم الآن ان ما فات اذاك محاولاتنا المتعثرة كان وفاءنا للتقاليد ، لا في

فحواها وحسب، بل في حضورها وسيرها المعاصر. ونحن طلاب اللاهوت الناشئين، كان ينقصنا العمق في نظرنا الى تقليد الاجيال الاولى، وخبرة اوسع في استيعاب الفكر الكنسي الحديث. فكان علي هكذا، ان أومن بالكنيسة حضوراً معاصراً لتقليد قديم، يرجع في اصوله الى الرسل.

وصدفني بعد قليل حادث آخر اقل شأناً من الاول. فقد عينت بدوري مدرساً للاهوت. فتوجب عليَّ ان احضِّر اطروحة الدكتوره مدة سنتين في روما، المدينة العجيبة، حيث معالم المسيحية القديمة في كل مكان. انها قلب المسيحية يذهب منها واليها دم الكنيسة الموزعة في العالم. انما في تلك الايام كان بيوس الثاني عشر في ابان الشيخوخة. فشعرت مع رفاقي الجدد بذات الغربة والالم اللذين شعرت بهما حين مطالعة البراءة الرسولية .H. G، كم من التفاصيل تناقلتها الالسن، كانت تؤلمنا. هناك رؤيا بيوس الثاني عشر التي استغلتها الصحافة بالرغم من ارادته. وفيها يعده المسيح بان مرضه سوف لا يودي بحياته. وهناك تفاصيل اخرى تشكل ما دعي بالتاريخ الصغير. كحظوة الاخت باسكالين لدى الاب الاقدس.

فكان يظهر من خلال كل ذلك وجه للكنيسة بشري مدهش كما في كل وقت. اظن ان كثيراً من التجارب ضد الكنيسة تأتي بهذه الصيغة. وظهر في الاثناء كتاب شهير لروجيه بيروفيت «مفاتيح القديس بطرس». ذلك الكاتب الذي يلتذ التمرغ في وحول الفضائح، اراد ان يكون وصفياً يعالج الجوانب الصغيرة عند اعضاء البلاط الروماني، وقد ظهر وجه الكنيسة في كتابه مشوهاً الى درجة تستدعي الاشمئزاز من الكاتب اكثر من الحقيقة التي وصف، مهما كانت هذه الحقيقة واقعية؛ لان هذه الفضائح لم تكن لترسم وحدها تقاسيم وجه الكنيسة الرومانية، التي فيها قديسون حقيقيون تشع من وجوههم حقيقة المسيح وعذوبته. وخلصت من هذا الى استنتاج وهو ان الكنيسة، حتى ولو ضمت الخطأة، او امكن استعمال اقل حقائقها استعمالاً مخجلاً، بالرغم من كل ذلك، واقول حتى من اجل ذلك، انا أومن بالكنيسة. فهي اولاً امي وقبلت منها الكثير، فلن اتنكر لها لأجل اخطاء يرتكبها ابناؤها. ثم على الصعيد البشري، انه من المحال مطلقاً ان تدوم ديانة عشرين قرناً وتحفظ بامانة دائمة ايمان الرسل، وتفجر

قداسة مشعة هكذا وتضحيات كنت بنفسي شاهداً لبعضها، وهي مبنية على حقيقة جزئية او بشرية. ما كانت لتدوم ديانة كهذه، لولا ان الله ينفح فيها روحه ومحبته، ويصونها من كل خطأ. يستطيع ابناؤها ان يشوهوا جمالها الخارجي، وكنا نرى بأم العين في روما آثار البلاط الروماني ابان النهضة. انما يبقى من منابعها التجدد والحيوية التي تظهر خصوصاً في القديسين الذين هم ابناؤها الحقيقيون. هكذا أومن بالكنيسة ولو كُفَّ نظري عن رؤية اي شيء، وبالرغم من انها احياناً لا تظهر «نوراً للعالم»، لان دواماً كهذا، ان في الحقيقة او في القداسة، ليستلزم حضوراً، حضور الله نفسه وسط شعبه. بفعل الايمان هذا، الغامض احياناً، وفي هذا الوفاء المطلق، كنت افهم أني لواجد حقاً كلمة الله المتجسد. وهكذا بكُل اقتناع في عشية نذوري الاحتفالية، ذهبت الى كنيسة القديس بطرس، اصلي عند قبر الرسول لكَي أُمنح الامانة المطلقة التي ارغب.

فبدا لي وقتئذ وجه الكَنيسة شبيهاً بوجه المسيح حين آلامه وخصوصاً حين تُوج بالشوك. فبتشوهه الكُلي بالضرب والدم لم يعد اجمل ابناء بني البشر.

ومع ذلك لم تظهر ألوهيته بمحبتها الفائقة للبشر مثلما ظهرت في هذا الوقت. فمن خلال هذا التشويه، واهانة الاخصاء لم يكن الا الكاشف عن محبة الله للبشر. لا يمكننا ان نهزأ بالمسيح في آلامه. ولن ننضم الى الجنود الرومانيين الساخرين منه بصولجان من قصب في يده تمادياً بالتهكم. وهكذا أمنا الكنيسة يشوهها غالباً ابناؤها فتفقد جمال المحبة الظاهري والشهامة التي تليق بها. ولكنها أمنا. انها حضور المسيح في الارض مجدداً آلامه والهزء به. فالتنديد بها في غير محله، لانها في هذه الحالة تظهر محبتها لكل العالم. وبهذه الآلام عينها تظهر مقاصد الله اللامحدودة في محبته للبشر.

وانطبع فيّ يقين آخر، بهدوء، وأنا اطالع صفحات لا تحصى من كتب القديس كيرلس الاسكندري وقد اتخذته موضوع درس لاطروحتي في المجاز. فاكتشفت من خلال اب الكنيسة ومن خلال كثيرين غيره، بعداً آخر للكنيسة، ساعد في كشفه مكوثي في روما وزيارتي لآثار المسيحية القديمة. فليست الكنيسة حدثاً مطلقاً، من قطع واحد، انما هي في التاريخ، تاريخ العالم، ولها من هذا التاريخ

بعض مفاسده. فالحقيقة المؤتمنة عليها والروح الذي يحييها يتلبسان بأشكال التاريخ ويبقيان الحقيقة ذاتها والنعمة ذاتها للروح القدس ذاته. وهكذا فيما يخص خلاص العالم، هناك قصد لله واحد لا يتغير عبر تطوره في العهد القديم اولاً ثم في الجديد، وفي تاريخ الكنيسة والبشرية، انما على مستويات متفاوتة.

فمن خلال الآونة والظروف القائمة لهذا التاريخ، وكنت اذكر حينذاك كيف تهيأ والتأم مجمع أفسس المسكوني الذي حدد عقيدة امومة مريم العذراء الالهية، كانت رحمة الله الغير المتناهية هي التي تسيطر، وفي النهاية، تنتصر لخير شعبه. كانت عنايته القديرة هي التي تحفظ الكنيسة مستودعاً للوعد، وتسيّر كل شيء، حتى الخطيئة، لخير من يحبون الله. (القديس اغوسطينوس). كانت الامانة للحقيقة ذاتها هي التي تظهر بالرغم من تعدد اللغات ومن خلال الطرق في التعبير حسب العصور والامصار.

الكنيسة اذاً هي في التاريخ، وكل حقبة من تاريخها تتجاوب مع نداء الهي جديد متغير وباق على ذاته في نفس الوقت. اتريدون مثلًا على ذلك؟ كنت ادرس مؤخراً، في تحضير درس، الحياة

النسكية في العصور الاولى للكنيسة. فتلك الحياة القشفة والمنقطعة عن العالم وحياته، لانه كما يظن عالم الخطيئة، كانت الاطار الوحيد للحياة المثلى. اعني ان الراغب في حياة كاملة، الذي دعاه الله لعطاء أكمل، ما كان ليجد في الكنيسة الا هذا النوع من الحياة. يكْفي ان نذكِّر هنا بوجه الاب شربل. وها هي الكَنيسة توافق مع الوقت وتحث على اتباع اشكال اخرى من الحياة الرهبانية، تميل الى العمل وتنصبّ على خدمة الله بطريقة جديدة غير الحياة الليتورجية او الصلاة التوحدية.

واننا لنشاهد اليوم ولادة مؤسسات علمانية هي وجه آخر، اكثر مرونة، للحياة المعطاة للمسيح. فيعيش هؤلاء بروح الانجيل في العالم وحتى في عيالهم. وها المجمع الفاتيكاني الثاني يطلب علناً الى كل مسيحي حتى الى العلمانيين ان يشتركوا في رسالة التبشير، ويشجع في هذا الاتجاه حركات العمل الكاثوليكي. فنخلص الى السؤال: ألم تتبدل الكَنيسَة؟ وهلا تزال امينة لرسالتها؟

واسمحوا لي بمثل آخر عصري. كانت الكَنيسة سابقاً تميل الى الحفاظ على بنيها بشيء من الخوف

البديهي. فالكَنيسة هي سفينة الخلاص في بحر العالم الخاطىء. هذا ما توسع به آباء الكَنيسة القديمة. انما هناك الكَثير من السلبية في هذا التشبيه. فكأني بالكَنيسة لا تحيا الا بعاطفة الخوف من تسرب روح العالم الى بنيها، فتشجع على قيام كنائس حارة انما مغلقة على ذاتها. واذا بالمجمع يعلن دستور «الكَنيسة في العالم» وفيه يشرع ابوابها على العالم بايمان تشيل به قوة الروح القدس، ويدفع بابنائها في هذا العالم، ورغبته في ان يطرحوا السَّلبية، فلا حَكم فيما بعد على العالم بل أخذ بمسؤولية العالم ومحبة له. فهلا تبدلت الكَنيسة؟

كلا، لم تتبدل الكَنيسة انما لكُل حقبة من تاريخها دعوة خاصة الهية لكَي تتجاوب مع ظرف معين من ظروف الانسانية. وكل هذه النداءات تكوّن خطاً متصلاً، تاريخاً الهياً، يرجع الى دعوة المسيح الاساسية لرسله: «اذهبوا وعلموا جميع الامم». والكَنيسة في وفائها للمسيح، وبالقداسة التي نالتها من المعلم، تنقل بامانة هذه الرسالة الى كل جيل من البشر والمسيحيين. وتستجيب لقلقهم وحاجاتهم بشكل جديد انما حقيقي اصيل. وهكَذا

لم تتبدل الكنيسة انما تبدلت المشاكل والعقليات وتستلزم حضورها، فالروح القدس لا يزال يقودها حسَب متطلبات الملكوت في العالم.

وهذا ما اختبره خاصة في عملي الحاضر؛ تعليم اللاهوت وارشاد الشبيبة الطالبة المسيحية الجامعية. مظهران من حياتي الكنسية مختلفان، انما يتلاقيان في الكشف لي عن هذه الحيوية.

فأحاول كمرشد للشبيبة ان اتفهم عالم الطلاب الحاضر في بيروت، وان اتنبه لجميع النزعات الناشئة في هذا المحيط الطلابي، بعناصره المتفاوتة والمتشابهة، والمكوّن للبنان ولعالم الغد. فهذا الجيل من الشباب دليل على اتجاه للفكر البشري. فهذا الاتجاه وهذه المَتطلبات التي نجدها عند الجميع بدرجات مختلفة، تحتاج الى تفسير، بالنسبة الى المسيح، والى ان ندخلها في نطاق الكنيسة او في الاتجاه اليها، اتراهم أسوء ممن تقدمهم؟ هذا ما يخشى ان يعتقده القدامى. ان هؤلاء الشَّباب مدعوون الى الجهاد والى مجابهة مواقف جديدة. فيقابلونها وفيهم رغبة انفتاح العقل والقلب لكل ما هو انساني. وها اني بدوري امثل في نظر هؤلاء الشبان، الذين

افهمهم واعمل معهم، وجه الكنيسة. وعليَّ ان انقل لهم الرسالة الازلية التي تسلمتُها من التقليد. انهم يشعرون اكثر ممن سبقهم بالحاجة الى معرفة هذه الرسالة، والى ارساء عملهم على العقيدة الثابتَة. فيتكلمون عن لاهوت العمل والخلق والفداء، وعن لاهوت الفريق كخلية في الكنيسة. وحيث يحاول لاهوتي وضيع مثلي ان يجاوب على كل هذه الطلبات، يتنبه الى ما في داخلهم من ارتياح عميق يكْشف عن شدة تعطشهم.

وهذا اختبار لا بديل له، يضطر اللاهوتي الى تصحيح اوراقه، وتجديد طرق تفكيره، والتبحر في العقائد والكتاب المقدس على ضوء العقلية المعاصرة. وهذا اختبار كنسي ايضاً على غرار ما فعل الأب تيار دي شاردين حين حاول ان يوفق بين عمله العلمي وحياته الروحية، فيجعل من هذه عملًا علمياً ومن ذاك حياةً روحية. وهكذا طلابي في اللاهوت فهموا بدورهم طبيعة اللاهوت الذي هو علم بمقدار ما هو تحليل في الحاضر للعالم على ضوء العقائد والوحي.

كنت اود ان اتوقف اكثر على هذا المظهر من حياتي في الكنيسة لانه مهم وأخاذ. فالوفاء للكنيسة

يصبح هو نفسه ينبوعاً للخصب. لاحظوا اني في نهاية هذا الاختبار الذي حدثتكم عنه طويلاً، اجد الكنيسة التي عرفت واحببت سابقاً. انما زادت معرفتي بها غنى، وتنقت، بفعل الازمات التي مرت علي. فما هي الكنيسة اذن في نظري؟ انها المسيح. وكما ان المسيح حاضر في كل مكان من العالم عند الناس ذوي الارادة الصالحة، وعند سواهم، يجذبهم بقوة محبته. كذلك الكنيسة، انها في نظري، عيلة تجذب الاقربين والابعدين، وتمنح لكل قيمة انسانية وارضية معناها الاخير والالهي. لا اجد المسيح الا في الكنيسة، وحينما قادتني الكنيسة فاني على يقين من الالتقاء مع المسيح.

هل اجبت في الواقع على السؤال الذي طرحت في بدء حديثي: لماذا أومن بالكنيسة؟ وتطلبون مني اسبابي الخاصة في ذلك؟ لا اقدر أن اعزو ايماني بالكنيسة الى اسباب عقلية او الى اثباتات تقنع الجميع. اي ليست الاستنتاجات المنطقية هي التي تغذي ايماني وتحييه. استطيع دون شك ان اعطيكم مثل هذه البراهين، وهي ضرورية كاطار لايماني. ولكنني فضلت ان اخبر شهادتي في خطوطها

الكَبيرة، وربما نسِيت منها الاساسي الذي يبقى عادة ابعد من الالفاظ. قدمت لكُم اختباري بمعنى ان هذا الاختبار كان هو نفسهُ الاساس الحياتي لايماني بالكَنيسَة. هذه الناحية من الحياة شبيهة لنواحي اخرى كثيرة؛ قد يعلل نجاح حب بشري مثلًا بأسباب، منها التشَابه العقلي والروحي والمادي والطبيعي، ولكن يبقى أن من يحب لا يقدر أن يجد اساساً آخر لحبه الا حبه نفسه وحياة هذا الحب عينها.

ومع ذلك ليسَت الكَنيسَة بحد ذاتها كل شيء؛ فما ايماني بها وارتياحي اليها وحياتي فيها، الا لاني اجد فيها، واتأكد بأني اجد فيها حقاً، وفي حياة يومية، شخص المخلص. ففي اشد ازمتي الروحانية، هذا ما كان يظهر لي كل يوم اكثر فأكثر، بالرغم من الظلمات العابرة والمحتمة. انا لا أومن بالكَنيسَة الا لأني اكيد من وجودي فيها الله كاملًا، ولي الاطمئنان بأني اسمع نداءه واجاوب عليه مجاوبة ملائمة. أومن بالكَنيسَة لاني الاقيه في القربان واتقبله حقيقة مطلقة ولي ملء الثقة بأني موضوع رحمته وجودته وغفرانه.

فان هناك ناحية لم اعالجها لانها ناحية تخصنا جميعاً ونختبرها كلنا. الكَنيسَة هي في الواقع سر الله. ففي الكَنيسَة جسَد المسيح، وفي اسرارها اجد الله بالفعل. ولانني كاهن الكَنيسَة اقدر في القداس ان اكلم الهي وجهاً لوجه، باسمي وباسم الجماعة المسيحية الحاضرة، وباسم كل الذين من قريب او بعيد ينتَظرون ان اجذبهم الى الله. ولانني كاهن المسِيح في الكَنيسَة، فأنا اكيد بيقين مدهش رائع، من ان الله ذاته يستَجيب لي في المسِيح يسُوع. ويخيفني احياناً ان الله يسْمع ويبتسم ويقبل ويصفح ويشْمل كل شيء بحبه الكَبير، ويقبلني، ويقبلنا جميعاً، في اسرته الكبيرة حيث يجد جميع الناس انهم اخوة.

الطوباوي شربل

حديث لبنان والعالم

بقلم

الخوري يوسف ابي صعب

(الفيـاضيه)

في الخامس من شهر كانون الاول الماضي ، وفي ختام دورات المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني وبحضور امراء الكنيسة من كرادلة وبطاركة واساقفة وكهنة ومؤمنين من لبنان وغيره وممثلي ٨٦ دولة في الفاتيكان ، طوب قداسة الحبر الاعظم بولس السادس في كاتدرائية مار بطرس ، على مستوى من الفخامة لا تضارعه الا مثل هذه المناسبات النادرة ، وقد رغب قداسته في ان يكون التطويب خاتمة المجمع المسكوني . وهذا الموعد بالذات له من المغزى ما بعده من تكريم للاب شربل ولطائفته المارونية وللبنان .

لذلك فان اخبار هذا الكاهن الماروني اللبناني في المجتمعات وفي الصحف اللبنانية والعالمية على اختلاف نزعاتها والحديث عن عجائبه وتطويبه ملأت ، اسم شربل واسم لبنان ، اسماع مئات الملايين من البشر في العالم .

في ذلك اليوم كان دير مار مارون ومحبسة مار بطرس وبولس ، الملحقة به في عنايا ، حيث امضى الاب شربل حياته الصالحة وتنسكه وموته بروح القداسة ودفنه واجتراح العجائب ، في ذروة العيد .

في هذا اليوم التاريخي ، كانت الجماهير الوافدة الى عنايا من انحاء لبنان والعالم ، من مسيحيين وغيرهم ، تعبر عن ايمانها بالخالق سبحانه وعن فرحتها بابنه البار شربل لما استحقه من نعمه ، راح بدوره ينعم بها علينا . هذه النعمة ، ليست شفاء الاجساد العديدة ، انما اعجوبته الكبرى هي ذلك

الاشعاع الروحي ، تلك الهزة الدينية التي احدثتها اخباره في جميع انحاء العالم ، والدعوة الى الايمان والتوبة . وهي الغاية الالهية من معجزاته . هذه الحركة الدينية والروحية اوجدت انقلاباً في الاخلاق ورجوعاً الى الايمان وخوفاً من الاثم واحيت ميت الايمان والفضائل في الناس . وقد ساوى الله بينهم بنعمه بشفاعة الطوباوي شربل بدون تفريق في الدين او المذهب او الطائفة ، فكلهم هناك امام قبره ابناء الله تعالى يدعون . هذه الجماهير لا توقف زحفها على قبره لا وعورة طريق ولا رداءة طقس ولا بعد مسافة . وانما دافعها هو محبة المسيح والاقتداء بحياته على الارض ، والى التشبه بحياة الطوباوي شربل التي كانت بسيطة مجهولة لم يعرف الا المحبسة التي تعلو عن سطح البحر ١٤٠٠ متراً حيث كان يختلي بنفسه مناجياً ربه ، اميناً لنذوره ، مثالاً للطاعة . وسيرته ملائكية اكثر منها بشرية . واما بعد موته فاصبح اسمه على كل شفة ولسان في لبنان لا بل حديث العالم الذي يقدر القيم الروحية ، وقبره قبر رجل عظيم عند الله كان حقيراً فصار مزاراً يحج اليه الناس الاتقياء والانقياء القلوب . يمجدون الله في اصفيائه على الخوارق التي تجري حوله باسم الله هاتفين : « طوبى لمن مات في الرب انه وان مات فسيحيا الى الابد ، وستجري من جوفه انهار ماء حي » (يوحنا ٧ : ٢٨) .

وجثمانه منذ اودع في قبره لا يزال ينضح بعرق الحياة وبدم الفداء والخلاص ، مخالفاً بذلك نظام سنة الطبيعة رغماً عن العوامل التي تقلبت عليه لانحلاله وافساده محيراً العقول والالباب .

مولده

ولد في بقاعكفره اعلى القرى اللبنانية واقربها الى غابة ارز الرب المبارك سنة ١٨٢٨ من والدين هما انطون زعرور مخلوف من بقاعكفره وبريجيتا بنت الياس يعقوب الشدياق من بشري . ودعي اسمه يوسف . وفي الثالثة من عمره توفي والده فربته والدته يتيماً . فاقيم وصياً عليه وعلى اخوته عمه طانيوس .

درس اللغتين العربية والسريانية في مدرسة (تحت السنديانة) وتربى تربية مسيحية ممتازة ، ومنذ صغره كان مولعاً بالصلاة يختلي في احدى المغاور الى حد ان ابناء قريته كانوا يدعونه « القديس » .

دخوله الرهبانية

لما بلغ اشده غادر اهله سراً الى دير سيدة ميفوق ثم الى دير مار مارون عنايا حيث اندمج في سلك مبتدئي الرهبانية اللبنانية سنة ١٨٥١ متخذاً اسم شربل ، القديس الشهيد الانطاكي مع اخته باربيا في القرن الثاني للمسيح ، وتعيد له طائفتنا المارونية في الخامس من ايلول . وفي مسقط راسي الكفور كسروان كنيسة على اسمه وهو اقدم معبد في البلدة .

ثم عهد به رؤساؤه الى مدرسة الرهبانية في دير مار قبريانوس كفيفان فاتقن السريانية والعربية ودرس اللاهوت الادبي والنظري والمجمع اللبناني دستور طائفته المارونية . فتخرج في الفضائل الرهبانية والعلم على نخبة من ابناء الرهبانية المشهورين بقداسة السيرة والعلم ، منهم الاب نعمة الله القدوم الكفري الشهير والاب نعمة الله كساب الحرديني الذي مات برائحة القداسة ١٨٥٨ .

كهنوته وحياته في الدير والمحبسة

في ٢٣ تموز سنة ١٨٥٩ رفعه الى درجة الكهنوت المقدسة المطران يوسف المريض في بكركي . وارسله رؤساؤه الى دير مار مارون عنايا . فعاش فيه ست عشرة سنة كان فيها مثال الراهب القديس بالمحافظة على نذور الطاعة والفقر والعفة ، وعلى قانون رهبانيته وفرائضها . وسنة ١٨٧٩ انزوى في محبسة مار بطرس وبولس وما كان يخرج منها الا بامر الطاعة المقدسة لرؤسائه . وفي المحبسة نهج نهج الاباء الحبساء القديسين وخاصة نهج القديس انطونيوس الكبير ابي الرهبان والقديس بولا اول النساك في ممارسة الصلوات والتأملات واعمال التقشف وقهر الذات . وكان قاسياً على جسده بلبس المسح والرقاد على الحضيض والجلد والتجرد عن كل شيء عالمي في الحياة

الدنيا وعن جميع ما فيها لا يأكل الا مرة واحدة في اليوم فيتناول ما يفضل عن فضلات المائدة ولم يتناول اللحم في حياته . وكان يعمل كل ما يعمل لتمجيد الله فكان على الارض بجسمه وفي السماء بقلبه وعقله . وكل ذلك راجع الى تقوى والدته التي كانت تسمعه اخبار خاليه الزاهبين الناسكين اوغسطين ودانيال في صومعة دير مار انطونيوس قزحيا ، وتحرضه على الاقتداء بهما .

وفاته وسلامة جثمانه من الفساد

عاش الطوباوي شربل في المحبسة ثلاثاً وعشرين سنة كأنه ميت وهو حي ، الى ان انتقلت روحه الملائكية الى خالقها في ٢٤ ك١ سنة ١٨٩٨ . ومن عجيب الصدف انه في تلك الساعة عينها لفظ انفاسه الاخيرة السعيد الذكر البطريرك العظيم يوحنا الحاج بطريرك الموارنة في بكركي ، فكان ملائكة الله الذين سبقوا فبشروا في تلك الليلة رعاة بيت لحم بميلاد المخلص هم انفسهم بشروا بان ولد للسماء مولود جديد على قمة جبل التجلي في جبل عنايا هو الاب شربل .

وفي ليلة وفاته اذا بنور يسطع من المذبح على جثمانه المسجى على نعشه في الكنيسة فيشرق وجهه . وبعد دفنه باكرام شاهد كثيرون النور مراراً يغمر قبره . وبعد اربعة اشهر فتح قبره لينقل الى قبر خاص فوجد الجثمان غائصاً في مستنقع من الماء والوحل . ولما غسلوه وجدوه سليماً . وكان ليناً مرناً ينضح دماً ممزوجاً بماء . والشراشف التي يلفونه بها كانوا يبدلونها له كل يوم . والاب يوسف الكفوري المولج بالمحافظة على الجثمان بعد ان كان دهنه بالسبيرتو وعرضه طوال اربعة اشهر عرياناً للشمس على السطح ليجف فما جف من العرق الدموي . ثم استعان بالطبيب سابا العويني فجوفه بنزعه المعدة وسائر الامعاء وكانت كانها نزعت من جسم حي ، وذلك لكي يتخلص من غسل الشراشف ومن تغيير ثيابه كلما تبللت ، ولم تجدِ هذه العملية نفعاً . والدكتور نجيب الخوري من اهمج حار في امر بقائه سليماً من الفساد ، وفي امر العرق شبه الدموي ، فأمر بان يوضع تحت

رجليه « كلساً حراقاً » والجثة منتصبة على القدمين ، فما اهترأ جلدهما ولا لحمهما وبقي العرق يسيل عليهما راشحاً من جميع اعضاء الجثمان . وقد نزعوا ايضاً نخاعه وظل يعرق ويعرق بما يشبه الدم الى اليوم .

اما الاطباء الذين اظهروا الجهل او قلة الدين ليلاشوا الجثمان فكأنهم بذلك قد تحدوا الله تعالى الذي يكرم عبده ويحفظ جثمانه من الفساد ويظهر في جسد الموت قوته الالهية . وجدت اجسام كثيرة بقيت محفوظة في قبرها زمناً طويلاً ، ولكنها ما ان تعرض للهواء حتى تفسد وتبلى . اما ان يحفظ جسم طول ٦٧ سنة ويحتفظ بليونته ومرونته ويعرق ماء ودماً فهو امر مدهش لم يسجل التاريخ له مثيلاً .

عجائبه وتطويبه

شرف الله الطوباوي شربل بصنع المعجزات في حياته كما شهد بذلك معاصروه ومعاشروه من رجال العلم والفضيلة . وبعد موته ابتدأت حوادث الشفاء وكان بينها بعض المصابين بعاهات العمى والكسح والشلل والخرس .

ومجمع الطقوس اعتمد في التطويب الى حادثتين من مئات عجائبه مشهورتين معروفتين اكتملت فيهما حسب رأي اباء المجمع عناصر المعجزة ، هما حادثة الراهبة ماري ابيل من اسرة فرحات من حمانا ، وشفاء اسكندر عبيد من بعبدات من العمى .

ودعوى تطويبه مع رفيقيه الاب نعمة الله كساب الحرديني والراهبة رفقا الريس تقدمت الى رومية سنة ١٩٢٥ بطلب من السعيد الذكر البطريرك الياس الحويك وفي عهد البابا بيوس الحادي عشر . على انها لم تلاحق جدياً الا سنة ١٩٥٠ .

وقداسة البابا بولس السادس المالك سعيداً تنازل ووقع قراراً يعلن بطولة فضائل الاب شربل . ورفع رسمه على المذابح كما مر .

ومن زار ضريحه في دير مار مارون عنايا حيث يستقر داخله في تابوت

من خشب الارز ضمن تابوت من حديد والغرفة التي كان يرقد فيها ، يشاهد متحفه المعروضة فيه الثياب التي نزعت عن جثمانه وعليها اثار الدم . والاناء الصغير الذي يحتوي على قطرات من دمه ... والادوات التي كان يستعملها كالكأس والصليب المقدس وصورة العذراء مريم التي كان يكرمها والمبخرة والسراج الذي اضيء بالماء لا بالزيت ، وكتب الصلاة والجمجمة التي كان يتأمل فيها ان حياة الانسان قصيرة وان كل شيء باطل في هذه الدنيا ، وان لا حياة سعيدة الا في الآخرة . ونرى ايضاً ملابس وعكازات وعصي وصور الذين شفوا بشفاعته . وخزائن الرسائل من جميع انحاء العالم ، واكثر هذه الرسائل مصدرها فرنسا . وبين سنتي ١٩٥٠ و١٩٥٧ ورد على الدير نحو ١٤٠ الف رسالة دونت خلاصتها في سجلات خاصة تتحدث عن بعض حوادث الشفاء من الامراض وعن نعم روحية : عن اهتداء الى الايمان ، وتوبة عن الماضي ، وتثبيت في دعوة ، ونجاح في رسالة الخ ...

بارك الله في الرهبانية اللبنانية المارونية التي انجبت للموارنة وللبنان وللشرق الطوباوي شربل الذي اجمع الرأي العام اللبناني اجماعاً شاملاً حول شخصه . فاسموه « القديس اللبناني » و « سفير لبنان الى العالم » والى السماء ...

وفي حفلة التطويب تمثلت الحكومة ورئاسة الجمهورية اللبنانية بوفد من جميع الطوائف وعلى رأسه فخامة الرئيس الفرد نقاش . وهكذا فعل المجلس النيابي وكان يرأسه عطوفة الرئيس صبري حماده ثم مجلس بلدية بيروت ، مما رفع رؤوسنا الى السماء ، وجعل العالم المتمدن يتحدث عنا وعن وحدتنا الوطنية والانسانية ويلتفت الى ارضنا ويحب لبناننا العزيز .

وذلك بشفاعة من كان صامتاً في حياته وصار اليوم حديث العالم كله .

المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني
مجمع الانفتاح والحوار

للمطران اغوسطينوس فرح رئيس اساقفة طرابلس للروم الكاثوليك

ختم المجمع ، الذي كان طيلة ثلاث سنوات واكثر الحدث الاهم في العالم ، ختم ولم ينته بل عند انتهائه قد ابتدأ ، فالعبرة في التنفيذ والتطبيق ، وعلى هذا تدأب الكنيسة وشطر هذا يتلفت العلم وينتظر .

ونتلفت نحن في هذا المساء نحو المجمع الذي مر لنتبين كنهه ومدى عمله وتأثيره فيبدو لنا كما اراده البابا يوحنا قبل كل شيء مجمعاً راعوياً وبالتالي كأنه ، من اهم نواحيه :

١ – انفتاح الكنيسة على ذاتها لوعي ذاتها .

٢ – انفتاح الكنيسة على عالم اليوم لاجل فدائه .

٣ – انفتاح الكنيسة على الكنائس الاخرى لاجل الحوار في سبيل الوحدة .

١ – انفتاح الكنيسة على ذاتها لوعي ذاتها .

كانت نظرة بعيدة الغور تلك التي القتها الكنيسة على ذاتها لوعي ذاتها واكتناه حقيقتها وادراك كيانها الوجودي وسرها العميق ، فرجع المجمع في ذلك الى الرسول بولس والى آباء

الكنيسة الاول كأغناطيوس الانطاكي وايريناوس واغسطينوس ... يغرف من معينهم الفياض ليطلع علينا بمفهوم للكنيسة في معناها الاصيل وبتعليم عنها لا اجلّ منه ولا اكمل .

الكنيسة هي ملكوت المسيح ، هي حضوره المعنوي والحقيقي في النفوس وفي العالم ، هي نتيجة لعمل خفي عجيب ، كالخميرة في العجين وكحبة الخردل : الكنيسة نمو فطفرة فاجتياح .

الكنيسة هي الحارسة لانجيل المسيح « عمود الحق وقاعدته » (١ تيموتاوس ٣ : ١٥) وهي اورشليم الجديـــدة نور الامم ، ام الشعوب ومربيتها : فهي امنا ، الكنيسة هي عروس الحمل (رؤيا ١٩ - ٧ - ٢١ - ٩٢ ٢٢) التي احبها المسيح وبذل نفسه لاجلها ليقدسها مطهراً اياهـــا بغسل المـــاء وكلمة الحياة (افسس ٥ : ٢٥ و ٢٦) .

هي حياة الله فينا ، والمؤتمنة على اسرار المسيح لايصال فدائه الى النفوس : « انا الكرمة وانتم الاغصان » .

الكنيسة هي المسيح بمحبته وتواضعه ، المسيح بفقره وتجرده ، هي المسيح بقوته وجرأته وسطوته وسلطته .

الكنيسة عطية من الله للبشر لتحقيق وحدتهم وخلاصهم ، هي وحدة المسيح تجمع ما بين الرئيس والمرؤوس لاجل عبادة الخالق وتحقيق مقاصده وخدمته وخدمة النفوس : هي وحدة في السلام والمحبة.

وهكذا تبدو الكنيسة بعيدة كل البعد عن الانظمة الارضية فليست بدولة ، ورجالها ليسوا بموظفين فيها بل رسل وآباء ومعلمون ، انها ليست ملكية ولا جمهورية ولا نظاماً دكتاتورياً او دستورياً ، قال المسيح : « ان مملكتي ليست من هذا العالم » ؛ انها ليست مؤسسة على غرار المؤسسات البشرية ولا مؤسسات مقوماتها ، كالاسقفية والبابوية .

كنيسة الله ، كنيسة السيد المسيح : هي شيء روحي محض ، شيء فريد من نوعه ، سر من اسرار الله ، لا يمكن سبر غوره ولا تحديده بكلام البشر . ويمعن المجمع بحثاً واستقصاء : الكنيسة هي « بناء الله » (١ كورنتوس ٣ : ٩) « وهيكل الله » ونحن ، من الاساقفة والكهنة الى الرهبان والعلمانيين ، نحن « اهل بيت الله وشعب الله ، وقد بنينا على اساس الرسل والانبياء ، وحجر الزاوية هو المسيح يسوع الذي فيه ينسق البنيان كله فينمو هيكلاً مقدساً في الرب وفيه انتم ايضاً تبنون معاً مسكناً لله في الروح » (افسس ٢ : ١٩ – ٢٢) .

الكنيسة اخيراً هي امتداد ، على الارض ، للمسيح الوسيط الوحيد ما بين الله والبشر وتأييد لحضورة : « انا معكم كل الايام الى منتهى الدهر وذلك انها جسد المسيح السري » : لانه كما ان الجسد واحد وله اعضاء كثيرة وان جميع اعضاء الجسد – مع كونها كثيرة – انما هي جسد بروح واحد لجسد واحد ، كذلك المسيح ايضاً ، فاننا جميعاً قد اعتمدنا بروح واحد لجسد واحد يهوداً كنا ام يونانيين ، عبيداً كنا ام احراراً ، وجميعنا سقينا روحاً واحداً » (١ كورنتوس ١٢ : ١٢ و١٣) « فانتم جسد المسيح واعضاء من عضوه » (١ كورنتوس ١٢ : ٢٧) « نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح » « وكل واحد منا عضو للآخرين » (روما ١٢ : ١٥) ورأس هذا الجسد انما هو المسيح الذي به « كل الجسد يتعاون ويتلاءم بالمفاصل والمواصل فينمو نمواً في الله » (كولسي ١ : ٢ و١٩) وروح هذا الجسد انما هو الروح القدس الواحد الذي يوحد ويحيي بالمعمودية : « انا جميعنا اعتمدنا بروح واحد لجسد واحد » ويرمز الى هذا الجسد ويحققه سر القربان وهو العهد الجديد للشعب الجديد الذي يجب ان يجتمع حول المائدة الواحدة والكهنوت الواحد ليأكل الخبزة الواحدة ويشرب من الكأس الواحدة ، وهذه هي شركة

جسد المسيح وشركة دم المسيح : « فاننا نحن الكثيرين خبز واحد ، جسد واحد ، لاننا جميعاً نشترك بالخبز الواحد » (١ كورنثوس ١٠ : ١٦ – ١٨) .

على ان هذه الكنيسة التي دعينا جميعنا اليها في يسوع المسيح والتي ننال فيها القداسة بنعمة الله لن تبلغ التمام الا في المجد السماوي عندما يأتي وقت يرد فيه كل شيء الى اصله (اعمال ٣ : ٢١) ويتجدد مع الجنس البشري العالم باسره ... والكنيسة في غربتها تحمل في اسرارها ومؤسساتها المنوطة بهذا الدهر ، ملامح الدهر الزائل وتقيم بين الخلائق التي تئن وتتمخض حتى الآن وتتوقع تجلي ابناء الله (راجع افسس ٦ : ١١ – ١٣) وانطلاقاً من هذه النظرة تسير الكنيسة في وعي مسؤولياتها : انها المدينة المبنية على جبل كما يحب ان يردد البابا بولس السادس فيجب ان تكون مقدَّسة ومقدِّسة ، ان تكون بلا وصمة وفائقة في الجمال فتحمل وجه المسيح لتجذب اليها النفوس ... ويجب ان تحقق التطور اللازم الى Aggiornamento الذي تكلم عنه البابا يوحنا ، ورسمه كواحد من اهداف المجمع فتماشي العصر لا في تحوير يتناول العقائد – وهي لا تمس – بل في استخدام لغة العصر ومفهومه للتعبير عن العقيدة ، وفي الاخذ بما حققه العصر من اكتشافات وتقدم في شتى الميادين للافادة منه لاجل خير النفوس ورفع مستوى الانسان المعاصر ومعالجة ادوائه وايضاً لاجل تطوير الادارة الكنسية والعمل الرعائي وفقاً لحاجة انسان اليوم ومقتضياته وعقليته .

والكنيسة آخذة ولا شك في ذلك : ولا ادلّ على هذا الامر مما تنطوي عليه المواضيع التي أنجزت من توجيهات عملية ؛ هناك تطور عميق في الليتورجية وتنظيم جديد ُبتّ فيه لادارة الابرشيات والرسالات والدروس الاكليريكية والتهذيب المسيحي ؛ وهناك آفاق جديدة يفتحها المجمع امام الاسقف والكاهن والراهب

والراهبة ، ودعوة ملحة الى العلمانيين الى ان يدركوا بانهم الى جانب الاساقفة والكهنة اعضاء حية عاملة في جسم الكنيسة لها دورها البناء ؛ وهناك ايضاً محاولات اجابية لتحقيق اللامركزية في الكنيسة – كما سنرى – ولتدويل ادارتها وتطوير العمل في المجامع الرومانية . وقد ابتدأ هـذا التطوير في مجمع التفتيش (St. Office) وكان يوحي الخوف والرهبة بسبب ما كان يعرف عنه التحقيق الخارق العادة (procédure extraordinaire) الذي لم يكن يترك للمتهم مجالاً للدفاع عن النفس ، فاعلن البابا في آخر شهر تشرين الثاني الماضي عن اعادة تنظيمه على اسس تتلاءم والعقلية الحاضرة فالغى التحقيق الخارق العادة وابدل اسم مجمع التفتيش باسم « مجمع الايمان والتعليم » .

والغاية المتوخاة من كل ذلك ان تزداد الكنيسة حيوية ، وحيويتها غنى ونشاطاً فيكون ابناء الكنيسة اسماً وفعلاً ، شعب الله المختار ، وخلفاً للشعب اليهودي وبدلاً منه .

٢ ـ انفتاح الكنيسة على عالم اليوم لاجل فدائه

قال فم الذهب عن بولس الرسول « ان قلب بولس هو قلب العالم » . ويمكن القول نفسه عن المجمع الذي مر ، فلم يشأ بان يبقى انعزالياً بينما العالم يتسقط منه الهداية والتوجيه : « الى من نذهب وكلمة الحياة عندك » ? والكنيسة اليست من العالم وللعالم ! وكأن قداسة البابا بولس قد عبر عن هاجس تغلغل في ضمير كل من آباء المجمع عندما اعلن في الحفلة الختامية للمجمع بانه « بالنسبة الى الكنيسة الكاثوليكية لا احد غريب عنها ولا احد مقصى ولا احد بعيد » ويمكن القول بانه « ولا شيء غريب عنها » ؛ وسبق المجمع فرسم بان رسالة الكنيسة تشمل الواقع الانساني في جميع مظاهره وظاهراته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية

نظراً الى العلاقة القائمة ما بين هذه النواحي الزمنية وملكوت الله ، وبان وجود الكنيسة في العالم اراده الله الآب لاجل ايصال ثمار الفداء الى العالم المعطوب بالخطيئة ولاجل بث خمير الانجيل في ثناياه .

فكان الدستور الراعوي الذي عرف بالموضوع الثالث عشر وهو من اهم واجلّ المواضيع التي تعرض لها المجمع وعنوانه « الكنيسة وعالم هذا الزمن » ؛ وكلمة العالم هنا تشمل العالم المخلوق ومجموعة الاسرة البشرية معاً ؛ فتكون غاية هذا الموضوع اذاً خدمة الانسان على اوسع مدى لحل مشاكله ، ومشاكل المجتمع على ضوء انوار الانجيل دون ان يكون ثم للكنيسة اي مطمع زمني .

وها اننا نستعرض اهم ما تضمنه هذا الموضوع الخطير :

في عرض تمهيدي ينظر المجمع الى واقع العالم في عصرنا ليرى ما يختلج فيه من آمال ويعانيه من قلق وما يتعرض له من تحولات عميقة الجذور وبالغة السرعة في النظام الاجتماعي والنفساني والادبي والديني . وما ينجم عن الاوضاع الجديدة من اختلال وعدم توازن وتعرض للشر والعبودية ، وما يهز الانسان المعاصر من طموح لاستكمال كيانه واستثمار جميع امكاناته ، فيبدو العالم للمجمع وكانه في احد المفترقات التاريخية الحاسمة ؛ فرأت الكنيسة ان تمد له يدها لتقوده في طريق الخير والحرية والتآخي : قال الرسل يوماً : « لا يمكننا ان لا نتكلم » : وقال بولس الرسول : « الويل لي ان لم ابشر » .

بعد هذا التمهيد يقسم المجمع الموضوع الى قسمين كبيرين :

في **القسم الاول** – وعنوانه : « الكنيسة والوضع الانساني » .

يبحث المجمع في دعوة الفرد الانساني وفي الاسرة البشرية ومعنى

النشاط الانساني ومهمة الكنيسة في عالم هذا الزمن .

في ما يخص دعوة الفرد : فالانسان مخلوق على صورة الله ؛ للجسد كرامته : انه عالم مصغر ؛ وللروح سموه — وللانسان قيمة بحد ذاته وبقطع النظر عن المجتمع . فما ابعده عن ان يكون كما تدعي بعض النظريات بمثابة دولاب في عجلة او مسمار في طاولة ، لا قيمة له الا كجزء من مجموع — ولذلك يتحتم احترام الشخص البشري.

اما الاسرة البشرية ، فواقع يقره الترابط الفطري ما بين الفرد والمجتمع ؛ ولكن يترتب على الانظمة البشرية اية كانت ان تكفل نماء الفرد والعدالة الاجتماعية وتناسق المجتمع بحيث يخضع فيها نظام الاشياء للقيم الشخصية ولمبادىء الحقيقة والعدالة والحرية والمساواة الاساسية .

على ان المجمع يرى آسفاً ان هذه المساواة في العالم لا تزال على تخلف كبير لاسيما في ما يتعلق بالمرأة والفقراء .

والاسرة البشرية هي الميدان الفسيح « **للنشاط الانساني** » . اما مبدأ هذا النشاط ومحوره فهو ان الانسان خلق على صورة الله ليعرف الله ويمجده وينشر ملكوته ويعمل على احلال الحق والعدل والمحبة على الارض ؛ وللانسان ان يمعن ما شاء في البحث والاستقصاء في جميع ميادين العلم ، على ان يحترم النواميس الادبية المرتكزة الى الحق الطبيعي والحق الالهي والشرائع الوضعية ، وان يكون عنده الاعتقاد الراسخ بان اكتشافات العلم الثابتة لا يمكن ان تتناقض مع معطيات الوحي : لان خالق الكون هو نفسه ربّ الوحي .

ويغتنمها المجمع سانحة ليشيد بالقيم الروحية ويشجب المادية والالحاد ثم يخلص الى اعلان مبدأين اساسيين :

الاول : « قيمة الانسان بما هو لا بما يملك » .

الثاني : للسيد المسيح « الذي به كان كل شيء » السيادة

المطلقة على الكون ؛ هو الالف والياء والنقطة المركزية في التاريخ : عنده ينتهي ما قبله ومنه ينطلق ما بعده .

وفي هذا يتلاقى المجمع وبوسيه (Bossuet) في نظرته الشاملة على التاريخ العام : « ان العالم القديم كان تهيئاً لمجيء المسيح والعالم الجديد تهيء لانتصاره في الكنيسة » .

اما مهمة الكنيسة : في عالم هذا الزمن فهي :

اولاً : للتوجيه والتساعد مع السلطة القائمة في شتى الميادين والنشاطات : على الكنيسة ان تتقاسم والعالم العمل والنشاط ؛ على العلمانيين ، تعود النشاطات الزمنية يحملون مسؤولياتها بالجدارة والضمير الصالح ؛ وعلى الرعاة ، ان يؤدوا رسالة المسيح بالحوار وشهادة الحياة ، وان يدركوا بانهم لشعب الله بكامله بل للخطأة والفقراء قبل الاغنياء وعظماء الارض والمتنفذين فيها ؛ على الكنيسة ان تستعين بالعالم الحاضر فتنتفع في تأدية رسالتها بحسنات الحضارة والاكتشافات من اي طرف اتت وعليها ان تصادق الجميع حتى اخصامها الذين يناصبونها العداء .

ثانياً : على ان الكنيسة في عملها تهدف خصوصاً الى ما وراء هذه الحياة . فهي اذاً للخلاص وايصال ثمار الفداء الى العالم ، بنشر انجيل المسيح وروح المسيح ورسالة المسيح وملك المسيح ؛ انها لتقود الافراد والجماعات عبر الزمن نحو المجد السماوي ؛ انها لتقول لكل انسان في كل اين وآن : « ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه » ، واذاً : « احب الرب الهك من كل قلبك وقريبك كنفسك » .

في القسم الثاني : وعنوانه حول بعض المعضلات الخطيرة :

يواجه المجمع اهم المعضلات العملية ليعرض فيها الحل الملائم .

١ – كرامة الزواج والاسرة

يتكلم المجمع عن معضلة الزواج والاسرة في عالم اليوم ، فيشدد على قدسية الزواج وقدسية الاسرة ويعالج قضية الحب الزوجي وخصب الزواج ويبين اخيراً بان الله هو سيد الحياة فيكون الوالدون بالتالي في استثمارهم طاقات الحياة مشتركين معه في الخلق ونشر الحياة .

ويمضي المجمع في بحثه مشدداً على ثبات الزواج المسيحي : انه عقد لا تنفصم عراه ، لانه صورة لاتحاد المسيح بالكنيسة : فهو من ثم ينبوع قداسة للمتزوجين ؛ ولذا يترتب على المسيحيين ان يشهدوا لوفائهم الزوجي وان ينزهوا حياتهم من وصمة الزنى والطلاق .

اما غاية الزواج الاولى فمزدوجة : هي الحب المتبادل وفقاً لتعليم الرسول بولس وهي انجاب البنين وفقاً لقول الكتاب : « انموا واكثروا واملأوا الارض » .

وتنتصب هنا امام المجمع بشكل حاد ملحّ مشكلة تحديد النسل فيعلن المجمع بجرأة : « يخص الازواج ان يحددوا عدد البنين ولكن باستشارة ضميرهم وباتباع شريعة الله وبالاستناد الى اوضاعهم الصحية والاقتصادية والعيلية والى ما يقتضيه خير المجتمع والكنيسة » : ما معنى ذلك :

« باستشارة ضميرهم : واتباع شريعة الله » : اي انه لا يسوّغ لهم منعاً لايلاد البنين ان يعمدوا الى الوسائل التي تنافي الحق الطبيعي وتفسد استعمال الزواج ولا الى الاجهاض ، والاجهاض جريمة قتل عمدي تنافي شريعة الله القائلة : « لا تقتل » .

هذا وقد كثر الكلام في موضوع استعمال الحبوب التي تمنع الحمل وبات العالم كما وُعد بانتظار كلمة الكنيسة في هذا الشأن . وقد تردد بالحاح في الاوساط الرومانية بان البابا الف لجنة من اللاهوتيين والاطباء والعلماء لدرس هذه القضية على ضوء

اللاهوت والعلم والاكتشافات الحياتية الحديثة ، لعلها تتوفق الى حل ينسجم ومعطيات الحق الطبيعي والشرع الالهي وجوهر الزواج ، على كل حال فالكنيسة لا تخشى الحقيقة والحقيقة وحدها تشفي وتحرر : « تعرفون الحق والحق يحرركم » .

٢ ـ الثقافة في العالم

يعرض الموضوع في هذه المادة حول الثقافة في العالم المعاصر ولبعض المبادىء المتعلقة بتعزيز الثقافة ولبعض الواجبات المسيحية الخطيرة في هذا المضمار ، ومنها ان يقر المسيحيون لجميع الناس بحقهم المقدس على الثقافة ويساعدوا بعض الافراد الموهوبين على متابعة العلم في حلقاته العليا ويتركوا لكل انسان حرية الاستطلاع والبحث عن الحقيقة والتعبير عن آرائه ويحفظوا للفنون حرمتها وكرامتها .

٣ ـ الحياة الاقتصادية والاجتماعية

في هذا المجال يستفيض المجمع في البحث والاستقصاء في النمو الاقتصادي ـ وفي المبادىء الاساسية والاقتصادية والاجتماعية ، وحسبنا الآن نظرة سريعة :

يعلن المجمع بانه يجب ان يتم النمو الاقتصادي او النهضة الاقتصادية لمصلحة الانسان كله روحاً وجسداً ، ولخدمته لا لاغراض الكسب والتسلط ، ويجب ان يتم دون اي تمييز عنصري او قاري ولا يجوز ان يترك توجيه الاقتصاد للفوضى ولا كله للدولة تعمل كما تشاء .

ولا بد ايضاً من ان تبذل المساعي لازالة التفاوت الهائل المستحكم ما بين مختلف الفئات والطبقات ، ولا بد من ان يُضمن للاسرة امانها واستقرارها وللعمال المستوى اللائق من العيش والكرامة .

وللعمال الاجانب توفير حاجاتهم الانسانية ، وللمواطنين عمل يرتزقون به ، وللعاجزين والمرضى قوتهم وكرامتهم .

ويسند المجمع ذلك الى بعض المبادىء الجازمة : ان كرامة العمل مستمدة من كرامة الانسان ؛ والعمل – وهو اساس النهضة الاقتصادية – انما وجد لخدمة الانسان لا لاستعباده ؛ على المؤسسة الاقتصادية ان تصبح قدر الامكان مؤسسة لاسرة انسانية يؤلفها جميع العاملين فيها .

وتجاه الشيوعية والرأسمالية المتطرفة يعلن المجمع : بان ثروات الارض هي للناس كلهم فلا يجوز ان تنحصر في قبضة من البشر . ان الحق على التملك والنشاط الفردي امر مقدس ؛ والارض كافية لاطعام البشر على شرط ان تحسن الاساليب الزارعية ويعاد النظر في نظام ملكية الارض وتشجع المؤسسات التعاونية والنقابية .

٤ – حياة المجتمع السياسي

يشجع المجمع على ان تتطور الانظمة القانونية بحيث يتسع لجميع المواطنين مجال اعظم للمساهمة الفعلية في سياسة الدولة ضمن نظام حر يضمن حريات الافراد والاسر والجماعات .

وفي ما هو من علاقة الكنيسة والدولة فيعلن المجمع بان رسالة الكنيسة روحية محضة : « ان مملكتي ليست من هذا العالم » . وبان وجود الكنيسة ضمانة للشخص البشري وضمانة لحريته وان الكنيسة باعتصامها بالانجيل تعمل في سبيل الدفاع عن حقوق العدالة والمحبة والحرية السياسية ، فيطالب بان تطلق لها الحرية في تأدية هذه الرسالة كما يطالب للجميع بالحرية الدينية ويتقاضى الحكومات والدول احترام هذه الحرية .

٥ – اسرة الشعوب وبناء السلام

منذ فجر التاريخ تئن البشرية من الحرب وتحن الى السلام

ولا تزال ، فيعير المجمع موضوع السلام والحرب الاهمية التي يستحق فيتكلم باسهاب عن طبيعة السلام وعن الاسرة الدولية وبناء السلام وعن تدعيم السلام وتجنب الحرب واخيراً عن رسالة الكنيسة والمسيحيين في هذا الشأن .

يواجه المجمع هذا الموضوع الشائك بحزم بالغ : فيحرم ما يعرف بالحرب الكلية معلناً بان كل عمل عدواني يستهدف اتلاف بعض المدن او بعض المناطق برمتها مع جميع ساكنيها هو جريمة في حق الانسان ذلك مهما كانت الوسائل المستعملة اسلحة ذرية او غيرها ومهما كانت نيات المسؤولين .

فاستعمال القوة في وجه عدو غاشم قد يكون احياناً من الوسائل المشروعة ؛ انما لم يعد معقولاً في ايامنا الحاضرة اعتبار الحرب وسيلة عادلة لاسترداد حق سليب . واما ما يدعى بتوازن الذعر Equilibre de la peur فيرى فيه المجمع وضعاً شاذاً ومبعثاً للقلق الدائم وهوّة تضيع فيها الثروات ويطالب بانشاء سلطة دولية فعالة باستطاعتها ان تعاقب الذين يهددون السلام .

وعلى هذا فالكنيسة تدعو جميع الناس الى تدعيم وتعزيز الاخوة الشاملة بمقتضى شريعة الانجيل وتدعو جميع الناس الى العمل لاجل السلام .

وفي هذا الاطار وتجاوباً مع المجمع كانت رحلة البابا بولس السادس في الرابع من تشرين الاول الماضي الى الامم المتحدة ، حيث القى باللغة الفرنسية من على منبرها العالمي خطابه التاريخي متكلماً لا باسمه واسم الاسرة الكاثوليكية فحسب ، كما ورد في الخطاب ، بل باسم « اخوة مسيحيين ايضاً يشتركون معنا في الاحاسيس التي نعبر عنها هنا » (قد عُلم بان قداسة البطريرك اثيناغوراس قد طلب الى قداسة البابا ان يتكلم باسمه ايضاً) .

استغرقت تلاوة الخطاب ثلاثين دقيقة تردد فيها كلمة السلام

خمس عشرة مرة ؛ باي بساطة واتضاع يستهل كلامه وباي سلطة يتكلم قداسته : « انكم تعرفون رسالتنا : اننا حاملو رسالة الى البشرية باسرها » ... فيطلب بالحاح من الدول ان تأخذ على نفسها العهد بقسم بان لا يكون من بعد حروب : « فلا حرب ابداً من بعد » ويردد البابا كلاماً للرئيس الراحل جون كنيدي : « يجب على البشرية ان تقضي على الحرب والا قضت الحرب على البشرية . واذا عم السلام فاي سعادة واي رخاء يخيمان اذ ذاك على البشرية وفقاً لقول اشعيا النبي : « يضربون سيوفهم سككاً واسنتهم مناجل فلا ترفع امة على امة سيفاً ولا يستعملون الحرب من بعد » (اشعيا ٢ — ٤) .

هذا هو الموضوع الفذ الذي عالجه المجمع في انفتاح عظيم على عالم هذا الزمن لاجل فدائه ؛ وان ما سمعنا في حفلة ختام المجمع في ٨ كانون الاول الماضي من نداءات وجهها آباء المجمع الى مختلف فئات البشر فلم يكن سوى امتداد بل عصارة لهذا البحث البعيد الغور ؛ بل خيل الينا بان هناك اصواتاً تهبط من السماء على الارض لتحمل اليها الدفء والنور .

قالت النداءات في ما قالت :

قالت لحكام الارض

« اننا نحترم سلطتكم ولكن نقول لكم : ان الله وحده عظيم والله وحده مصدر سلطتكم احكموا وفقاً لسنن الحق والعدل والمحبة ...

لا تخشوا الكنيسة فليس لها مطامع زمنية بل هي الى جانبكم لتعزيز سلطتكم ولمؤازرتكم » .

قالت للعلماء : « تابعوا البحث والاستقصاء فتشوا عن الحقيقة فالحقيقة وحدها تشرف الانسان وتحرره .

اننا واياكم على ذات الطريق لا تكلوا من السعي والبحث

وكما قال القديس اغسطينوس : « لنفتش مع الرغبة بان نجد ولنجد مع الرغبة بان نفتش ايضاً » .

قالت للفنانين : « اذا كنتم من اصدقاء الفن الاصيل فانتم من اصدقائنا ضعوا مواهبكم في خدمة الحقيقة الالهية ولا تغلقوا نفوسكم دون نفحات الروح القدس » .

قالت للنساء : « نتوجه اليكن ايها النساء الى اي فئة انتميتن آنسات وزوجات امهات وارامل واليكن ايضاً ايتها العذارى المكرسات او المتوحدات .

انكن نصف العائلة البشرية ؛ والكنيسة لتفخر بانها حررت المرأة وانها طالبت على مر العصور بمساواتها بالرجل . قد اتت الساعة لتنعم المرأة في العالم بنفوذ وتأثير واشعاع ومقدرة لا عهد لها بمثلها الى الآن ؛ منوط بكن السهر على البيت وانماء الحياة فيه ، صالحن ما بين الرجل والمرأة ، اعدن اسرة الاطفال الى البيوت وانقلن الى بنيكن وبناتكن محبة الخير والحق والعدل .

وانتن ايتها العذارى ابقين في العالم المعطوب حارسات للطهارة وشاهدات للتقوى والتجرد والكفر بالذات » .

قالت للعمال

« ليتأكد لكم بان الكنيسة تعرف الامم وتتحسسها وتعرف مدى كفاحكم وامالكم وهي تنحني بعطف عليكم وتعمل في سبيلكم لإحلال مبادىء العدل والحق وتوفير الراحة والرفاه لكم ؛

وفي الوقت ذاته تجاوبوا والكنيسة : انها صديقتكم فثقوا بها اذكروا الله واعلموا بان البغضاء لا تشفي وان المسيح الذي كان عاملاً مثلكم كان كله محبة » .

قالت للفقراء والمرضى وجميع المتالمين

« ان قلوبنا لتسمع تنهداتكم وزفراتكم ، ولدينا دعوة باسمكم دعوة ملحة الى الايمان والرجاء والى الاتحاد بابن الله الذي تالم لاجل العالم ، اذكروا بان فداء العالم قد تم بآلامه ويتم اذا شئتم بآلامكم ايضاً » .

قالت للشبان والشابات :

« انكم مدعوون لان تستلموا من السلف مشعل الحياة في ساعة من التاريخ حافلة بالتطورات ؛ انكم مجتمع الغد ؛ فالمجمع الذي عمل جاهداً في سبيل تجديد شباب الكنيسة يريدكم اشعاعاً للايمان والمحبة ، اشعاعاً للقوة في الكفاح لاجل الخير والحق والبرارة والطهارة ، في الكفاح ضد التخاذل والانانية والاحقاد والبغضاء ، في الكفاح في سبيل العدل والحرية . يترتب عليكم ايها الشبان والشابات ان تبنوا عالماً افضل وفي عملكم هذا توجهوا شطر الكنيسة : انها الشباب الدائم للعالم ، على وجهها تبدو ملامح وجه المسيح ، البطل الحقيقي رجل التواضع والحكمة نبي الحقيقة والمحبة ، ورفيق الشباب وصديقهم » .

ثالثاً – انفتاح الكنيسة على الكنائس الاخرى لاجل الحوار في سبيل الوحدة .

نعم الوحدة هي الضالة المنشودة ومن اهداف المجمع المسكوني .

لقد صرح البابا يوحنا مراراً لاسيا في خطبة الافتتاح المجمع :

« بان وحدة العائلة المسيحية الوحدة في الحقيقة هي من اهداف المجمع المسكوني القادم وبانه يترتب على الكنيسة الكاثوليكية ان تبذل قصارى الجهد لكي يتحقق السر الكبير لتلك الوحدة التي طلبها السيد المسيح من ابيه في صلاة حارة عند اقتراب الساعة المحددة للتضحية بحياته » ، والبابا بولس السادس في افتتاح الدورة الثانية يعدد اهداف المجمع فيحصرها في اربع نقاط هي : « معرفة الكنيسة ذاتها او بالاحرى وعيها ذاتها – تجديدها – الوحدة

المسيحية – الحوار بين الكنيسة وعالم اليوم » ؛ ويشدد على الوحدة باهتمام وتأثر بالغين ، فيقول هناك هدف ثالث للمجمع عينه البابا يوحنا الثالث والعشرون هو على نوع ما مأساته الروحية وموضوعه « المسيحيون الآخرون » اعني اولئك الذين مع ايمانهم بالمسيح نراهم محرومين وجودهم كشركاء معنا في كمال وحدة المسيح .

على ان الكنيسة الكاثوليكية تدرك وعورة الطريق وطولها . فهي كما قال البابا بولس :

« لا تنتظر حلولاً معجزة ومباشرة . فالثمار التي نرجوها يجب ان تنضج طويلاً بالدرس والصلاة . ذلك لان المصالحات الظاهرة او المرتجلة التي تموه الصعوبات بدلاً من ان تحلها تعيق السير بدلاً من ان تسهله .

فكان لا بد من السير على هدى في هذا الموضوع الخطير والدقيق ، المحفوف بالاخطار والمشحون بالرواسب وسوء التفاهم ؛ وكان لا بد من وضع خطة رشيدة نتبين من خلالها الطريق قويماً واضحاً . واهم العناصر لهذه الخطة هي :

١) الفهم العميق للوحدة : انها كما حددها البابا بولس السادس الوحدة في الايمان والاشتراك في الاسرار نفسها والانسجام العضوي الذي تخلقه ادارة كنسية واحدة ؛ كل ذلك مع احترام التباين الوسيع المدى في التعبير اللغوي والاشكال الطقسية والتقاليد التاريخية والامتيازات المحلية والتيارات الروحية والانظمة الشرعية والنشاطات المفضلة ... بحيث تحتفظ كل كنيسة بشخصيتها كاملة ولكن دون ان يكون ثم مساومة على الحقيقة .

٢) ضرورة التجديد الداخلي للكنيسة وتحقيق القداسة فيها والرجوع الى الله الذي هو نقطة الاتصال واللقاء لا سيما وان الانفصال كان من فعل عدو الخير .

٣) ضرورة المحبة والتفاهم والتعاون المتبادل والصلاة المتبادلة

بدلاً من الجدل العقائدي ؛ فهذه الامور هي التي تزيل الحواجز وتقرب ما بين القلوب لا سيما وان واقع الانفصال في جوهره لم يكن عقائدياً بل سياسياً ونفسياً . قال البابا بولس في خطابه الى المراقبين (١٧ تشرين الثاني ١٩٦٣) : « ما لنا والفرق في متاهات التاريخ ، لا نفتح جراحاً لم تندمل بعد ... فالرجاء رائدنا والصلاة قوتنا والمحبة سبيلنا في خدمة الحقيقة الالهية التي هي ايماننا وخلاصنا » .

٤) واخيراً وخصوصاً الانفتاح من قبل المجمع على الكنائس الاخرى .

جميل وجليل في هذه الناحية ما ينطوي عليه موضوع الحركة المسكونية التي انجز واعلن في الدورة الثالثة ، من اطراء لما في الكنيسة الشرقية من اصالة في العقلية ومن غنى فكري ولاهوتي وصوفية عميقة اصيلة وعبقرية عند الآباء وجلال في التراث والتقاليد وجمال في الطقوس . وباي الحاح يوصي المجمع بوجوب الاطلاع على كل ذلك ومعرفته معرفة عميقة والاخذ منه ما امكن لاغناء الفكر الغربي . وبأي صلابة قام الآباء لا سيما البطاركة والاساقفة الشرقيون يشددون على الميزة الرسولية للكنائس الشرقية ، مبينين انها ليست كالكنائس التي تنشأ اليوم في افريقيا واوقانيا مثلاً بايعاز من روما . بل هي كنائس نشأت ، على غرار كنيسة روما ، مدينة « للرسل لا لغيرهم » بتأسيسها ولها شخصيتها المستقلة وكيانها وتقاليدها كنائس غنية ، وقد استطاعت عبر الزمن ان تحتفظ بتراثها وتقاليدها سالمة فهي معدة لان تعطي من غناها بقدر ما ستأخذ من غنى الآخرين عندما سيتم الاتحاد .

وكان هذا الانفتاح من قبل الكنيسة الكاثوليكية امراً واقعياً ، ومن دلائله :

ا — دعوة الكنائس الاخرى الى المجمع بصفة مراقبين .

ب — جعل الوحدة من اهداف المجمع ووضعها على بساط البحث فلم يعد بالامكان تجنبها كما يصرح البابا بولس .

ج — انشاء امانة السر لاتحاد المسيحيين ومهمتها الاتصال بباقي الكنائس وقد قامت وتقوم بمهمتها بروية ونجاح : فكانت اشبه بجسر متين يمتد ما بين الكنيسة الكاثوليكية وباقي الكنائس .

د — تكريس الحركة المسكونية او الوحدوية كطريقة فضلى لتحقيق الوحدة ما بين المسيحيين . بحث المجمع هذا الموضوع في الدورة الثانية بحثاً ملياً بحماس واهتمام وانجزه واعلنه في الدورة الثالثة دون ان يكون ثم معارضة تذكر . وهكذا تبنت الكنيسة الكاثوليكية هذه الحركة التي نشأت في الكنيسة البروتستانية .

والنتيجة الطبيعية لهذا الانفتاح كانت فتح باب الحوار ما بين الكنيسة الكاثوليكية وباقي الكنائس .

وقد مهدت لذلك نشأة الحركة المسكونية في الكنيسة البروتستانية فكانت تلك الخطة الرصينة والجدية للعمل الوحدوي ما بين مختلف الكنائس . ومهد له ايضاً ما يبذل من جهود خيرة من قبل جميع الفرقاء . وحسبنا الآن الاشارة الى المساعي الجبارة التي يقوم بها قداسة البطريرك المسكوني اثيناغوراس ، الشخصية الارثوذكسية الاولى ، الذي زار الكنائس وجاب الاقطار لتهيئة الجو الملائم للحوار الوحدوي . وبتوجيه منه تجتمع الكنائس الارثوذكسية مراراً في رودس وقضية الوحدة في رأس اعمالها . وفي احد اجتماعاتها تعرب عن رغبتها في الوحدة وتترك لكل كنيسة الحرية بأن تفتح باب الحوار مع الكنيسة الكاثوليكية . ولقداسة البطريرك تصريحات رائعة ، منها قوله : « لا يمكن ان تمنع اختلافاتنا وحدتنا ، لنا رب واحد وتقليد واحد ونفس القديسين والشهداء . نحن امام فجر جديد . لقد عبر الماضي وزال . ان مسؤوليات الكنيسة

عظيمة ومسؤوليات رعاتها كبيرة تجاه خطر المادية والشيوعية ، يجب ان نتحد لننقذ الايمان المسيحي وانا لن انورع من الذهاب الى روما لاجل ذلك ... آه كم يكون جميلاً لو استطعنا يوماً ان نصلي « الابانا » معاً بصوت واحد ! اين ؟ في روما ؟ اجل في روما ! ولم لا كلنا حول كرسي بطرس وحول البابا اول الاساقفة . كيف يمكن ان نكون مسيحيين وفي الوقت ذاته منفصلين » .

اجل كان كل ذلك وكانت اجتماعات اديس ابابا واذا بنا امام بدء الحوار ما بين الكنيسة الكاثوليكية وباقي الكنائس .

فكان ارسال المراقبين الى المجمع من قبل اغلب الكنائس وقد ارتفع عدد هؤلاء من ٣٩ في الدورة الاولى الى ما فوق المئة في الدورة الرابعة .

وكان اللقاء التاريخي في مساء الخامس من شهر كانون الثاني سنة ١٩٦٤ ، وعند الظهيرة من اليوم التالي في اورشليم ما بين الرجلين الكبيرين البابا بولس السادس والبطريرك المسكوني اثيناغوراس : وهما رجلا العناية وقد اؤتمنا على مقدرات القسم الاكبر من المسيحيين . البابا يعمل ويتكلم باسم الكنيسة الكاثوليكية جمعاء وهي من حوله برعاتها ومؤمنيها وحدة متراصة ، يأمر بسلطته الفعلية النافذة فيطاع ويطلب فيلبى – والبطريرك المسكوني يمثل قسماً كبيراً من الكنائس الارثوذكسية وله تأثيره المعنوي البعيد والعميق على الجميع .

وعلى اثر هذا اللقاء يصرح البطريرك : « لقد قررنا ان نبدأ واتفقنا على الطريق التي تحقق الاهداف » . وسمعنا صوت البابا يرتفع من اعماق مغارة المهد ليعلن : « اننا نحيا ساعة تاريخية يتحتم فيها على الكنيسة ان تحقق وحدتها العميقة والمنظورة وهي الساعة التي حان لنا فيها ان نجيب على رغبة السيد المسيح القائلة : « ليكونوا واحداً ليعلم العالم انك ارسلتني » ... منذ الآن فصاعداً

لم يعد بالامكان ان نتجنب مشكلة الوحدة المسيحية .

وهناك اتصالات عديدة ومتوالية تجريها الكنيسة الكاثوليكية مع باقي الكنائس ومع البطاركة .

وما اكثر البوادر الطيبة التي تشهد للنية الحسنة وتعزز هذا الحوار : منها ارسال رأس القديس اندراوس الى باتراس ورفات القديس سابا الى ديره في فلسطين ، ومنها خصوصاً ازالة الكثير من الحواجز التي كانت تباعد مـــا بين الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الارثوذكسية .

ومن جملة هذه الحواجز تلك التي كانت تتعلق بالاشتراك في القدسيات والزواج المختلط فازالها المجمع .

وايضاً رفع الحرم القائم بين الكنيستين ، وهو الحرم المشؤوم المتبادل في القسطنطينية سنة ١٠٥٣ ما بين الكردينال همبرتو ممثل البابا ليون التاسع وما بين البطريرك القسطنطيني ميخائيل كيرولاريوس بسبب خلاف نشب ما بينهما ، فكان هذا الحرم من اكبر العقبات ما بين الكنيستين .

ففي السابع من كانون الاول الماضي في ساعة مباركة من حياة الكنيستين تغلبت فيها المحبة على كل شيء تم رفع هذا الحرم في آن واحد في روما وفي القسطنطينية . وما اجمل ما رأينا في كنيسة القديس بطرس : ممثل اثيناغوراس يتقدم من البابا فكان العناق الاخوي وكأنه ما بين الكنيستين شهدناه وشهدنا الدموع تملأ عيون الجميع . وايضاً ما اروع ما فاه به قداسة البطريرك في القسطنطينية على اثر رفع الحرم : « اني متأثر تأثراً بالغاً في هذا اليوم . فاحمد العناية الالهية التي منت علينا به ... واشكر البابا بولس السادس ... اننا في هذا اليوم نسجل صفحة في تاريخ الكنيسة وايضاً صفحة حب في تاريخ قلوبنا » .

على ان هناك ما هو اعمق من كل ما ذكر وهو ان الحوار

قد اتخذ من قبل المجمع شكل لقاء لا على صعيد الاجتماعات والحضور الشخصي فحسب بل على صعيد التشريع واللاهوت وهذا هو الاهم .

ونحن الذين عشنا المجمع المسكوني طيلة ثلاث سنوات واكثر لمسنا عند آبائه رغبة مخلصة وملحة في الرجوع الى العصور السحيقة من تاريخ الكنيسة حيث كان المسيحيون واحداً ، ليأخذوا من تراثها وكنوزها ما امكن علماً منهم بانهم في ذلك سيلتقون على اكثر من منعطف مع اخوانهم الشرقيين . فكان من هذا القبيل الرجوع الى الاصول العريقة في الليتورجية فعادت الكنيسة اللاتينية في ما عادت اليه ، الى القداس المشترك والى المناولة على الشكلين في بعض الاحيان والى استعمال لغة الشعب في اغلب اقسام القداس ... ويضيق المقام عن التعداد .

وكان من هذا القبيل ايضاً تحديد السلطة الجماعية في الكنيسة وهي السلطة التي للهيئة الاسقفية على الكنيسة اي لمصف الاساقفة تحت رئاسة البابا سواء كانوا متفرقين او مجتمعين .

لقد جاء هذا التحديد تكميلاً لما بحث فيه المجمع الفاتيكاني الاول الذي حدد رئاسة البابا الشخصية وعصمته ، وازالة لما قد تثيره هذه الرئاسة من مخاوف وملابسات ، وتلطيفاً لحدة ممارستها وايضاً رجوعاً الى العهد الجديد والاباء والتاريخ . فكان التحديد اشبه شيء بتلاق جديد على الصعيد العقائدي والتهذيبي ما بين الكنيستين الكاثوليكية والارثوذكسية .

وتطبيقاً لهذا التحديد كان الشروع في تحقيق اللامركزية في الادارة الكنسية .

– فكان تعزيز السلطة الاسقفية بمنح الاساقفة صلاحيات واسعة اصبحت من صلب الشرع .

– وكان تعزيز السلطة البطريركية واقرارها من قبل المجمع

المسكوني لا سيما وان البطريركيات تكاد تمتد اصولها الى العهد الرسولي .

– وكانت خصوصاً العودة الى تعزيز الفكرة الجمعية و « الحياة الجمعية » في الكنيسة على غرار ما يجري في الكنيسة الارثوذكسية وقد تجلى ذلك في ظاهرتين .

– الاولى : رسم موضوع الاساقفة والادارة الكنسية ان تنشأ المؤتمرات الاسقفية (Conférences épiscopales) في كل بلد وما بين مختلف الابرشيات والبلدان واولاها صلاحيات واسعة وحق البت في الكثير من امور الادارة والتشريع .

– الثانية : في افتتاح الدورة الرابعة المجمع المسكوني في الرابع عشر من شهر ايلول الماضي اعلن البابا في خطبته بانه سينشىء « السينودس الاسقفي للكنيسة جمعاء » وفي الغد صدرت ارادة رسولية بذلك . ان هذا الحدث لمن اهم الاحداث وقد اجاب البابا في هذه الخطوة على رغبة حارة عبر عنها كثيرون من آباء المجمع لا سيما بعض البطاركة الشرقيين ، وانها لخطوة جبارة في سبيل تحقيق السلطة الجماعية وتطبيقها في الكنيسة وبالتالي في سبيل التقارب ما بين الكنيستين .

وسيتألف هذا السينودس الذي يتعلق رأساً بالبابا من البطاركة الشرقيين – ورؤساء اساقفة الكراسي الكبرى الذين لا يتعلقون ببطريركيات الطقوس الشرقية – ومن اساقفة تنتخبهم المؤتمرات الاسقفية الوطنية والمجامع الاسقفية القارية ومن الكرادلة رؤساء الدوائر الرومانية – ومن عشرة رهبان ينتخبهم الاتحاد الروماني للرؤساء العامين .

ولهذا السينودس امين سر عام دائم مع امانة – ويعقد اجتماعات عامة او استثنائية او خاصة ، اما مهمته فاستعلام وشورى ولاصواته قوة القانون متى اراد البابا وفي قضايا معينة . ومن غايته ان يشد الروابط ما بين البابا والاساقفة وان يجمع المعلومات

الدقيقة من حياة الكنيسة الداخلية وعن عملها في العالم . وهكذا سيشترك الجسم الاسقفي فعلاً في الادارة الكنسية .

هذا هو الانفتاح العظيم الذي حققه المجمع المسكوني ففتح باب الحوار ما بين الكنائس . اجل لم نصل بعد الى الاتحاد ولكن كم قطعنا من الطريق وكم ازلنا من العقبات : اين كنا واين صرنا ! ان انوار الرجاء باتت تغمر النفوس والعقول والقلوب !

ايها السيدات والسادة ، هذه بعض اضواء على المجمع المسكوني الذي مر والذي يعتبر بحق من اعظم المجامع المسكونية في تاريخ الكنيسة وربما اعظمها . وسيكون ولا ريب نقطة انطلاق حاسمة نحو تطوير الكنيسة وتجديد نشاطها ونحو الوحدة المسيحية .

الوحدة المسيحية – اننا نعيش في الحنين اليها – ونتلمس الطريق ، والطريق انما هي النية الحسنة – انما هي المحبة انما هو النور نور الحقيقة نستمده من لدنك يا الله .

على ان نورك يا الله يغمر الكون ويغمر منا الكيان : فاعطنا ان نفتح العيون والاحداق لنرى النور وبنورك نعاين النور .

معضلات الحياة
على ضوء الانجيل

هبة السلام

•

للارشمندريت استفانس الياس المخلصي

« **السلام** أستودعكم ، سلامي اعطيكم ، لست كما يعطي العالم اعطيكم انا » : (يو ١٤ : ٢٧) .

تصريحات رائعة يحار في وصفها البيان .

مواعيد فاتنة تشدّد الاوفياء ، وتثير الثقة في الصدور ، وتضمن الظفر .

وما هذه الهبة الغنية السخية التي منحها المعلم الالهي ، قبيل صعوده الى السماء ، الا ارث خص به أصفياءه ، ولسان حاله يردد ما يجول في قلبه الحنون :

هذا ما أتركه لكم ، بعد ان جاهدنا يداً بيد في حقل الرسالة المقدسة ... وقد امتزجت نفسنا وارادتنا في الكفاح والتضحيات ... هذا هو المقتنى الثابت الذي اعطيكم اياه ليكون ازراً في الايام الكالحات ... « اني لا ادعكم » ، بل سترفرف روحي مهيمنة فوق رؤوسكم ، وتبثكم حبي وعطفي وحناني ... سافعم قلوبكم بأساً واقداماً ، وسلامي لن يزول من نفوسكم ، وان ناوأكم الدهر واضطهدكم تباعه ... انا السلام ، كما « انا الحق والحياة » ، فسيروا الى حومة القتال ، والنصر حليفكم ... سلامي يكون عمادكم وان تحالفت عليكم قوة الاعداء ...

ذلك هو هتاف المعلم العذب ، وهو آية وداعه ... شرعة ودستور ... وصية ناطقة تدوّي مدى الاجيال ...

قد يذهل الرسل وتساورهم المخاوف ، بعد ان ارتفع المسيح عنهم ؛ لكنهم ما عتموا ان ادركوا صدق الوعد ، حين أرسل اليهم الروح المعزي ، ففتح أذهانهم ، ووطد عزائمهم ، فشعروا بعظمة وقوة النعمة واستقرار الطمأنينة في النفوس .

وهذا السلام نفسه لم يخصصه برسله فقط ، بل منحه لجميع المعتصمين به ، فاضحى بغية كل نفس تجاهد بكل ذريعة لامتلاكه . فان هو فقده فانما ذلك لمساءة في الثقة ولضعف في الايمان .

لا نكير ان هذا الحقل واسع ، فسيح المدى ، لا يستوعبه فكر ، انه محور الحياة الداخلية ، بل هو حياتها في ارجها السامي .

ان السلام حاجة كل فؤاد ، فهو لا يألو جهداً لنيله . وما ذلك التقلب والاضطراب ، وتلك الحرب الضروس التي يشنها العالم الا لابعاد شقته وتعفية خطته ؛ فلا بد من التجرد والالحاح في طلبه .

قوام السلام هو النظام : لو سألنا لمَ السماء موطن السلام ؟ فيجيبنا الائمة : ان الله هو مصدر السلام الفائض على اصفيائه ، يشاركونه نعيمه بقدر اندماجهم بنظامه الالهي المستقر . فاذا كان النظام يؤتي السلام لتابعيه ، فسلام المرء في الدنيا هو النظام والطمأنينة ، ولا يتم بسوى الطاعة له تعالى ، والاتحاد به اتحاداً ناجزاً وفي الاستسلام .

لننطوِ على انفسنا باحثين فنجد صدق ذلك . أترى قلبنا في راحة ؟ ... أيطمع بشيء ؟ ... ايشعر بالتواء واضطراب ؟ ... اخشى الوقوف على واقعه ، خوف الفضيحة ؟ ... وخلاصة القول اهو مطمئن لحاله ؟ ... فاذا كان القول ايجابياً فبشراه ان السلام في اكنافه .

اما اذا كانت الاوهام تساوره ، والمخاوف تتقاذفه ، والرغبات تخبطه ، والاضطرابات الداخلية تعترضه ، ونزعات النفس تغاير روح الرب ، فأنذروه بالويل والثبور ، وانبئوه بان السلام قد رحل من ساحته ، لان القلق واختلال النظام الداخلي صنوان لا يفترقان ، كما ان السلام والانضباط هما ندّان لا ينفصلان ، فالواحد يكمل الآخر ، وفي ازدهار الواحد ازدهار الآخر .

لا استقرار للمرء ، اذا كانت ارادته تنفي رغبة الله ؛ « لا سلام للمنافق يقول الرب » . ولا فرق بين ان يكون فحوى ارادة الله الشريعة الطبيعية ، ام الوحي الالهي او الالهام الباطني . فالانسان يتمتع بذلك السلام ، ما دام منسجماً مع رغبات الله ، ولذا فالنفس الورعة التقية لا تفقد السلام ، لانها متحدة به بواسطة المحبة والطاعة ، متمسكة بالنظام المطلق الذي هو السلام ، وأمينة على تنفيذ سننه . ولكن اذا تمردت ، مندفعة وراء تطلبات محرجة اثيمة ، سيطر التشويش عليها ، وهوت الى لجج الامم ، والتوت بعذاب داخلي ، « اذ لا سلام للخطأة » .

لن نحصل على السلام إلاّ بقدر ما نسيطر على الاهواء ونستقطب النعمة ، ونستسلم للارادة الالهية ، ونسمو في حياتنا ؛ هنالك نجد السلام ، المطلب الاول لهناء الحياة ،

ومنه تتوزع الخيرات ، اذ لا سعادة بدونه مهما نال المرء منه وجاهة .

السلام خير ادبي

قوامه النضال في سبيل الشرف . فلا يكفي لهذا ان نقاطع الميوعة المستعصية ، او نسعى للحصول على المناقب الحميدة السامية ، دون الوضيعة التي يرتكز عليها النجاح فلا نحظى بإحداها ...

لا نعتبرن المكافحة لاستئصال العادات الذميمة ، وادخار المزايا الجميلة لا نعتبرنها مغايرة للسلام الداخلي . انها دعامة يقوم بها السلام . وما ذلك القلق الذي يعكر صفاء السلام ، احياناً ، الا عرض يمر ويزول ، ولا يثبط الهمة ، بل يزيدها مرونة واستبسالاً ، وقد قيل « المحنة محك الرجال » .

ثم لا يغربن **ان السلام هبة الهية ، ثمر المحبة التي تسيطر على الفؤاد** . وما المحبة الا الله . وهذه العطية لا يمن الله بها في كل حال ، بل كثيراً ما يمنعها ، حتى عن اتباعه لأمر يقصده ، وما عطاؤه هذه النعمة الا عربون سلام أبدي دائم مغاير لوعود العالم الخداع .

— « من المنطقي الواضح **ان يعد العالم بالسلام** ايضاً ، والا أعوزه من يخطب وده . فكثيرون تغرهم الوعود الخلابة الخداعة ، ما هي في الواقع الا وقود يضرم شهوة العين والجسد ، ويزيد الطبيعة سعيراً : سلام نصيبه الخداع واليأس ، يستهوي تباعه وتُشرى وترذل ... سلام يقلق الفكر والقلب ، وان ملأ زاوية ، فما ذلك الا الى لمحة طرف ... حتى اذا ما استقوى عليه قيده وساقه

سوق النعاج الى المسلخ . اذن ما السلام الارضي الا بروق عابرة ، تضيء وتضمحل ، تقدمها الدنيا المماالقة ، والتي « هي أرض دُجية حالكة كالديجور ، وظلال موت لا نظام فيه » (ايوب ١ : ٢٢) .

– « وقائل : لمن يهب الله السلام ؟ ... يعطيه تعالى للساعين باخلاص وقلب نقي وارادة طيبة . **بيد ان السلام الذي يعطيه لتابعيه يتنوع :**

سلام ممزوج **بالنعمة المبرورة** ، وهو الذي يستقر في قلوب الصغار ، ما دامت بسيطة بريئة ، يشعرون بلذتها ، ومتعتها تفوق عذوبة العالم . وقد يتذوق هذا السلام ايضاً المتواني العائد الى ربه ، فينتعش بعد فقدان حياة النعمة » .

وهناك سلام آخر أسنى « يفوق كل فهم » (فيلبي ٤ : ٧) ، **ذلك السلام الذي يملأ قلوب من زهدوا بكل شيء ، وتتلمذوا له متقيدين بمراسيمه** ... فالعالم مع كل مباهجه تحت اقدامهم ، لا تؤثر التملقات على نفوسهم الريانة بالايمان ؛ وان تعثرت احياناً ، فعلى غير قصد ، وخارج نطاق الارادة ، وفي سبيل اكتساب المرونة في القتال واكتساب الاجر .

قلق مقدس يعقبه السلام والاستقرار ... لا يدركه الا من اذل ذاته ليكون طيعاً ، يلبي نداء الرب ، ويستسلم بين يديه ، كما كانت تيريز الطفل يسوع ، كرة تقذفها يد المعلم الالهي ، ولذا نالت بغيتها بامتلاك الله تعالى امتلاكاً كاملاً .

وهنالك نوع من السلام يهبه الله **لنفوس لم تستحقه ، انما منّة منه** ، لاغراض سامية غامضة ، فتأخذها الحيرة ،

وتشعر بلذة ناعشة ، دون ان تعرف مصدرها . ولا تعتم ان تسمع صوت الله يناديها ، ويعدها لاحتمال الشدائد التي سيخصها بها ... هذا السلام ثمرة جهاد طويل الامل وهو منبع راحة وطمأنينة ...

ولله در القديس فرانسو دي سال ، حيث قال : « ان من ظفر بالسلام ظفر بكل شيء ، لان السلام عنصر الهي :

« الهي بمصدره : فالله تعالى وحده يقدر ان يبثه فينا .

« الهي بفاعيله : لانه وحده يجعلنا متحدين به .

« الهي بمكافآته : لان جزاء السلام هو الله نفسه .

« الهي بطبيعته : لان صانعي السلام يـُدعون بني العلي .

« اخيراً الهي بالذي يقدمه لنا ، وهو الله ذاته وقد افتداه بدمه الاقدس » .

شعر • شعر • شعر • شعر • شعر • شعر • شعر • شعر • شعر

الواهبون

(الى الذين يدورون في فراغ الكبرياء)

وقال
حفاةٌ ، عراة ، رعاعْ
يقودون في الغد هذا الشراع ؟
ومن للعظائم
غير السّراة ؟
أينهض بالكون حشد جياع ؟
فقلتُ ...
حياتك ، عري ، وجوعٌ ، وموت ،
فلا تستهنْ بالرّعاعْ
رغيفكَ
زرع كريم النوالِ
وبردك
نَسْجُ قويِّ الذراعْ
وقصرك
سُمر الزّنود بَنتْهُ
فلولا البناة ، سكنت الضّياعْ
فما انت ؟
في موكب الواهبين
سوى عالةٍ ، أو بقايا متاعْ

جورج داود

نهر الشموس

لبنان يا حرم الضياء تلالا ... عن « سافر » يرقى النجوم دلالا ،
نهر الشموس على رباك مزنر ... بالعطر يهمي سوسناً وطلالا !
كم نجمة سهرت على درب المنى ، ... عند الكروم ، تسامر العزالَ ...
تختال في برد الجميل وتنجلي ... عن « ميجنا »... واردها « موالا »...
يا خيمة الوعد المحال اسرتني ... فقطفت وعداً واستبحت محالا ...

في الدوح « دالية المواعيد » ارتمت ... خلف الغدير تداعب الشلالَ
اغفو على حدو النسيم ، وهمسه ، ... واباكر الاسحار انعم بالا ،
واروح « بالمرقوق » انهم « صعتراً » ... واعب من « عين العيون » زلالا ...
واكر مخمور الهناء مهاجماً ... متراجعاً ... فتخالني خيّالا !...

وطني ببال الله !... ياضوع السنا ... عبر الدنى ... ونعمّر الآمال
كابر بنا شم البطولات الألى ... درجوا على آي العلى امثالا !...
اشبال ارز الرب إما هاجهم ... ضرمُ الاعادي استشهدوا اشبالا ،
يمشي صغير النسر في صيحاته ... – عند الحدود – على العدى رئبالا !

يا غرب ، ان هجر العرين اسوده ... لم يبرحوا قلباً يذوب وصالا ...
او ينسهم رحماً بريق تمدن ... فالارزة الغراء تهتف : لا !.. لا !..
اتحللون محرماً من حقنا ... برجوعكم .. وتحرمون حلالا ؟!..
يا نازحاً يسلو... وعمري نازح ... غلب النحول فشف عنه هزالا
افلا ترانا – والوفاء عهودنا – ... جن الحنين... وما سلونا الآل ؟...
ام المهاجر لا جوانح ... بعده ... امست على هجر « الحبيب » خيالا

يا ارزهم! طال النوى... ورجوعهم ... بعيوننا ... لن يستحيل منالا
شهقت على هدبي هواتف لوعة ... مصدورة : هرب الزمان ودال
طيروا الى جبل يغني عودكم ... طلع الكواكب ترقص الاظلال
« خضر الجوانح » رفرفت تدعو الهوى ... ولكل قدموس بنت تمثالا

الياس عطوي

اوراق جائعة

بقلم نقولا المصور

— ١ —

نبرة يتيمة كفت ، فأمتلأ الزمان والمكان وخضع العالم للشكل واللحن . وكلما عاد الليل ، منتصباً في عينين فخاريتين ، يذكر الله الصمت ، ويندم .

— ٢ —

انتِ الينبوع والكلمة ، انحناءة الحلم البطيئة ، جرأة الاشياء .
وجهلكِ الكل !

اما والارض تغيب ، اما والمكان يتهاوى نعاساً تملأ آن تنشدين ، آن تهمسين في اذن الليل وتتخطى الابعاد بين نجمة ونجمة وتمحى الغيوم عبر ابواب الغناء .

— ٣ —

تنشدين ، فيتجدد الكون وتنبجس من صوتكِ آلاف ازهار الياسمين المضيئة ، يتغير وجه النهار وترقد النفس في حنايا صوتك كما اللهب في الرماد ، يحرق ولا يرى .

— ٤ —

بقلبي اسمع صوتكِ . كزفرة الساعات المرتحلة يأتي ، يعانق الجبلة الاولى ، النار والملح والدم .

على الريح بنيتُ مأواي ، فضعت وحملني النهر والماء . لكنكِ ادخلتني الى عالم الانشاد فشدتُ على النيران ملكي واستعدت مع الليل نفسي .

— ٥ —

لا مكان للحن في الكون عدا صوتك الانسان تحمله الريح صوب البحر كحصاد من ضوء، واولئك الذين يسمعون اللحن يسمعون صوت العالم وكل الاتربة المتوحشة تصبح ارض الحلم.

بينما على الضفة الاخرى تشعل الريح ناراً خافتة تتحدث والموت على عتبة الهناء.

— ٦ —

كئيب انا!

لا طير ينشد فيضيء الغابة؛ ما من طريق يقود الى ذاك المكان المهجور من نفسي، حيث لا شيء سوى رجل يسير والوحدة والكآبة، رجل اكثر حقيقة من اي كان من اي شيء، من الارض والظل والصخب، من فجر عالم يحتضر.

— ٧ —

وتقترب الموجة!

فتحترق عند قدميك كل نيران الصباح، ويتوقف تلاعب شعرك حول الريح وتأرجح جفنك الثمل.

وتبتعد الموجة.

تنسلخ حية من امام قدميك بكل ثقل عينيها الخضراوين، وبين اصابعك النيرة تذوي اللمسات، وفي البعيد البعيد، تسير مع البحر صوب المحيط.

— ٨ —

عينك ملكة مجوسية صامتة، بلا موسيقى ولا صوت، تعطف على صفحات الكتاب نافذتها الواسعة كالافق العريض، كصحراء السماء في وضح النهار.

جولة في المكاتب

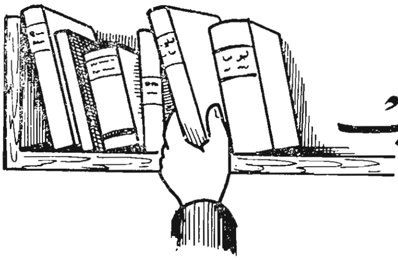

يقدمها
سمعان نصر

مواسم (شعر)

عبد الكريم شمس الدين – مطبعة حايك وكمال – بيروت

صديقنا الشاعر عبد الكريم شمس الدين ، يعرفه قراء الرسالة ، فهو ذلك الشاعر اللطيف الهمسات الغزير العاطفة ، الذي تشعر عند قراءته انك امام مرج زهور متشابك الالوان ، ليس فيه هندسة وصناعة فن ، بل فيه طبيعية جمال واندفاق خاطر ونبض قلب حيّ .

وديوان (مواسم) هو اكبر برهان على ما اقول ، لانه حقاً ينقلك من خيال على جناح فراشة ، الى عاطفة رقيقة رقة قلب الام ، الى وصف شفاف لا كثافة فيه ولا تصنع ، الى خطرات اصفى من قلب النبعة .

وفي كل ذلك انت محمول عفوياً ، لا تمل تتنقل من متعة الى متعة كالنحلة ، تجني من كل ذلك أدباً صافياً يملأ منك القلب والعقل .

فتهنئتنا للاستاذ شمس الدين ، ورجاؤنا ان تبقى هذه النبعة خيرة لا ينضب عطاؤها .

مصير

خليل رامز سركيس – منشورات الندوة اللبنانية – بيروت

ان الاديب الاصيل نتبينه من انفراديته ، اعني من نهجه الذي يكاد يسلكه وحده ، لا لامتناعه وعورة وتمثلاً ، بل ابداعاً ولوناً .

واديبنا خليل رامز سركيس ، يكاد ينفرد في نهجه الكتابي ، انفراداً يشبه ضرباً بطولياً ، يجعل منه احد اعلام الفكر العربي المعاصر الكبار .

ولن نتوغل قليلاً او كثيراً في كتابه الجديد ، مصير ، فما هو سوى امتداد لنتاج فكري اصيل ، احدث شمولاً في الاساليب العربية الكتابية ، وثورة في الفكر المنفتح

المتحرر المجنح ، فضلاً عن ان التوغل فيه ، لشبيه بتوغلك في بستان مليء بكل انواع الزهر والشجر ، تمتلك منك الحواس كلها ويتعذر عليك بعد ذلك تفسيرها وتفصيلها .

واكثر ما ينتزع اعجابك في مصير ، هو ذلك النفس السوي الذي لا يفتر برهة في صفحة من صفحات الكتاب ، بل يبقى متصلاً وحياً واصالة وتوقداً ، بل هو ذلك النحت الصقيل الذي يتجلى في مفرداته وتعابيره بحيث تشعر ان الكلمة عنده من معدن ثمين يبهرك فيها الوهج وحسن السبك ، وترتاح الى انها تبرجت هذا التبرج لتصلح ثوباً لفكر شريف النبعة عماً وخالاً .

نقول هذا لندل القارىء من بعيد الى هذا الاثر النفيس ، لانه لن يظفر بشيء منه الا بالتوغل فيه ، فالكنوز في اعماقه ، وكله كنوز ، مقلع ادب وفكر ، ولا شك ان القارىء سوف يلقى المصير بين دفتيه ، ونعم المصير ، لانه مصير الانسان الكامل السعيد .

المسيح حياة النفس

ترجمة سيادة المطران نصرالله صفير - المطبعة الكاثوليكية

توزيع المكتبة الشرقية - بيروت

ان المؤلف الروحاني الشهير دوم كولومبا مرميون هو من أئمة معلمي الروح في عصرنا ، ومؤلفاته تملأ رفوف مكتباتنا ، كما تملأ خزائن الاديرة والمؤسسات المسيحية .

وهذا المؤلف يمتاز بعمق تفكيره وبعد نظرياته وامانة آرائه بحيث يتيقن القارىء انه ينهل التعاليم الروحية من ينابيعها الاصيلة ، اي من وحي الكتاب المقدس ومؤلفات آباء ومعلمي الكنيسة الجامعة .

وانه لعمل جدير بكل شكر ، ان يصار الى نقل احد مؤلفاته الى اللغة العربية ، وهو المسيح حياة النفس ، كما انه من حسن الحظ ، ان يكون ناقل الكتاب هو سيادة المطران صفير ، المعروف بغيرته الرسولية ، وبقلمه البسيط السيال ، حتى يبقى المنقول اقرب ما يكون الى الاصل ، لا يشوبه ادنى تصنع .

فندعو كل المسيحيين الى اقتناء هذا السفر النفيس ، والى الغوص في اجوائه الروحية الصافية ، فنحن في أمس الحاجة الى مثل هذه الاجواء في عصر طغت عليه سحب المادة السوداء .

شاعر عبقر واهازيج الفن

عبد اللطيف اليونس - بيروت ١٩٦٦

لم تعرف المكتبات العربية بعد مؤلفاً تعريفياً نقدياً ، فيه التبسيط والتحليل والتعليق ،

مثل هذا الكتاب .

وشاعرنا الكبير شفيق معلوف لعمري ، هو خليق بان يصار الى شرح مؤلفاته وتحليلها اكثر من ذلك ايضاً . لانه شاعر رائد في ادبنا العربي المعاصر ، ولانه يمثل ناحية من نواحي الشعر العربي اجمل تمثيل ، تتجلى بالابتكار والجزالة والسهل الممتنع .

اما الاستاذ عبد اللطيف اليونس ، فقد وفى الاستاذ معلوف بعض حقه ، وقد توفق في ايفائه هذا الحق ، لانه انسجم معه انسجاماً تاماً ، وراح بوحي هذا الانسجام يكشف لنا عما في قصائد شفيق من جمالات وابعاد خيالية وفنية ، محللاً وشارحاً ومفصلاً ، حتى جاء مؤلفه من اجمل الدراسات العصرية التي تتناول التعريف والنقد .

فشكراً لدليلنا الى هذا البستان الجميل ، ولا نضبت قريحة شاعرنا الكبير شفيق .

الرسالة المخلصية

مجلة شهرية تصدر عن دير المخلص
سنتها عشرة اشهر

الادارة الادبية: الاب سمعان نصر ب م

الادارة المالية: الاب جورج كويترب م

دير المخلص — قرب صيدا تلفون ٧٢٠٤٤٠
او بيروت — الوكالة المخلصية — شارع المخلصية
تلفون ٢٣٣٢٢٨

الاشتراك

- ٦ ل. ل. في لبنان
- ٨ ل. س. في سورية
- جنيه او دينار في بقية البلاد العربية
- ٥ دولارات في اوروبا واميركا وافريقيا
- ٢٥ ل. ل. للدوائر والشركات

الاعلان

تقبل الاعلانات على صفحات المجلة
بعد سابق اتفاق مع الادارة

ترسل الرسالة المخلصية الى البلدان التالية :

الارجنتين المانيا انكلترا ايطاليا البرازيل
تركيا السنغال السودان سوريا سويسرا
العراق فرنسا فنزولا كندا لبنـان
ليبيريا مراكش المكسيك مصـر
المملكة الاردنية الهاشمية الولايات المتحدة

وكلاء الرسالة

بيروت : السيد اسكندر حداد
صيدا : السيد طانوس موسى
صور : السيد كامل سعاده
مشغرة والجوار : السيد جورج طرابلسي
زحلة وابلح والجوار : الاب نقولا كناكري ب م
دمشق والجوار : الاب جورج غبريل ب م
حلب : الخوري بطرس جحا
القاهرة : الاب اغناطيوس رعد
الاسكندرية : الاب يوحنا سليمان ب م
عمان : السيد يوسف اسعد سمعان
بقية الاردن : الاب ميشال حبيب ب م
الخرطوم : الارشمندريت كيرلس حجار
بغداد : الاستاذ يوسف يعقوب مسكوني
اميركا الشمالية والجنوبية :

Mr. John Courey
20201 Redfern Ave.
Detroit 19. Mich. U.S.A

Rev. Simon Hage B.S.
Saint Ann's Church
7 Connecticut Ave.
New — London, Conn. U.S.A.

المحتويات

الموضوع	المؤلف	صفحة
حول لقاء بولس السادس وغروميكو	الاب بشارة صارجي ب ٠ م	٢٤٠
دور العلماني في الكنيسة	الاب ميشال حكيم ب ٠ م	٢٤٥
منزلة المرأة ورسالتها	يوسف حي	٢٧٧
لماذا أومن بالكنيسة	الاب دوبره لاتور اليسوعي	٢٨٦
الطوباوي شربل حديث لبنان والعالم	الخوري يوسف ابي صعب	٣٠٩
المجمع المسكوني مجمع الانفتاح والحوار	المطران اغوسطينوس فرح	٣١٥
هبة السلام	الارشمندريت استفانس الياس ب ٠ م	٣٣٨
شعر : الواهبون	جورج داود	٣٤٤
نهر الشموس	الياس عطوي	٣٤٥
اوراق جائعة	نقولا المصور	٣٤٦
جولة في المكاتب	س . ن	٣٤٨

حلو العريسي
احمد خليل العريسي
يقدم أطيب أنواع البقلاوة
والمربيات والشكولاته
تلفون
بيروت ٣٢١٢٤ ضد البرج

Chateau Musar
موزار نبيذ فاخر
جادة الافرنسيين ، ١٢٨
الهاتف ٢٣٢١١١ - بيروت

المطبعة المخلصية
دير المخلص . صيدا . لبنان

2 PRODUITS DE QUALITE!

"Laziza"

LA 1ERE AU LIBAN

MISSION

OF CALIFORNIA

Un rafraîchissement délicieux

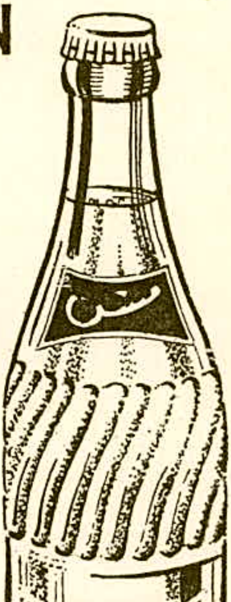

GR. BRASSERIE DU LEVANT-G.GELLAD S.A.L.

TEL: 220414 - 15 BEYROUTH

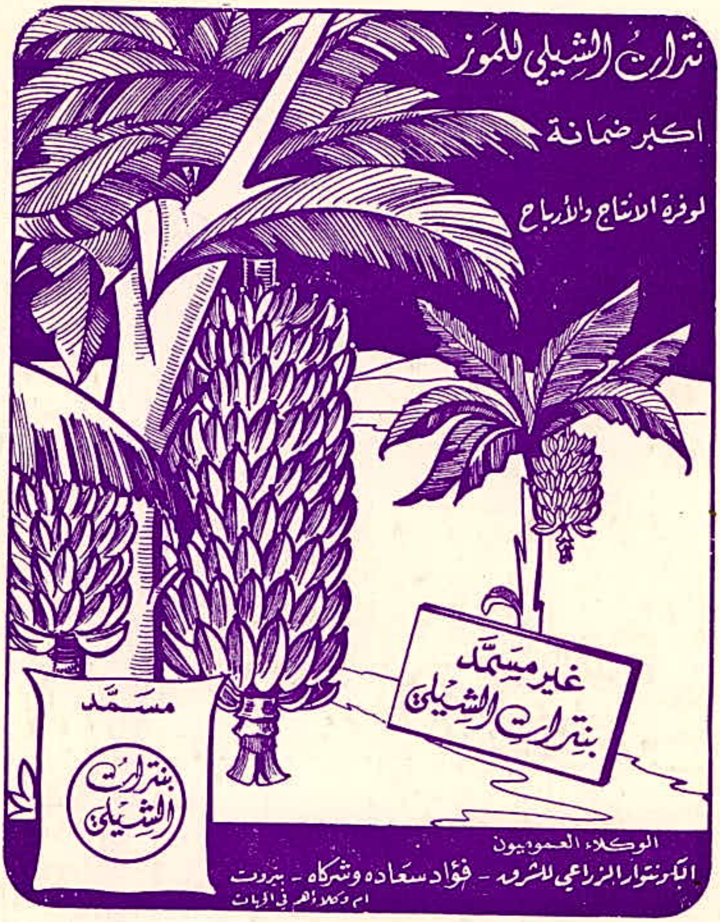
نترات الشيلي للموز
اكبر ضمانة
لوفرة الانتاج والأرباح
غير مسمد
بنترات الشيلي
مسمد
بنترات الشيلي
الوكلاء العموميون
الكونتوار الزراعي للشرق - فؤاد سعاده وشركاه - بيروت
او وكلاؤهم في الجهات